الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمـي

جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN

كلية الآداب واللغات

قسم اللّغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات عربية

رمز المذكرة:.....

الموضوع:

خصوصيات التشبيه في القرآن الكريم

سورة هود ـأنموذجاـ

إعـــداد الطالبة:
بن رمضان إيمان

إشراف:
أ. د/ مكي عبد الكريم

لجنة المناقشة:

أ.الدكتورة	بن عزوز حليمة	رئيسا
أ.الدكتورة	ديدوح فرح	ممتحنا
أ.الدكتور	مكي عبد الكريم	مشرفا ومقررا

العام الجامعي: 1441-1442هـ/ 2019-2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

أهدي ثمرة عملي إلى سندي وكل حياتي وإلى مصدر الدّعم والعطاء "أبي الغالي"

إلى من لا أجد لها كلمات تعبر عنها أو توفيها حقها إلى سرّ الوجود "أمي الحبيبة"

إلى الحضن الدافئ بكل الأوقات "جدتي"

إلى رمز الأمل والبركة جدّي، أطال الله في عمرك، إلى روح جدّي وجدّتي رحمهما الله.

إلى القلوب الطاهرة أخي وأختي، إلى خالتي وعمّتي وكل عائلة بن رمضان وخاصة من لم يدّخرا جهداً في مساعدتي "معاذ" و"جلال" إلى براعم قلبي: إياد، آية، ملاك.

إلى أساتذتي الكرام وإلى كل من علمني وأخذ بيدي وأنا إلى طريق العلم والمعرفة.

إلى رفيقات دربي: ستي، فاطمة، مباركة، أحلام، آمال.

إلى من عجزت السّطور عن ذكرهم فوسعهم قلبي.

وإلى كل من شجعني في رحلتي إلى النجاح والتمييز إليكم جميعا الشكر والاحترام والتقدير.

شكر وعرفان

في البداية، الشكر والحمد لله، جلّ في علاه، فإليه ينسب الفضل كلّه في إكمال هذا العمل، والكمال يبقى لله وحده لا شريك له.

فنشكر الله عزّ وجل الذي بتوفيق منه وبفضل منه تمكنا من إنجاز هذه المذكرة وإتمام هذا البحث العلمي، والذي ألهمنا الصحة والعافية والعزيمة فالحمد لله كثيراً.

نتقدم بجزيل الشكر والامتنان والتقدير العميق إلى الأستاذ الدكتور المشرف "مكّي عبد الكريم" على كل ما قدّمه لنا من توجيهات وإرشادات وعلى ما منحه لي من وقت وجهد وتشجيع.

كما أتقدم بالشكر إلى أساتذتي الكرام وكل من ساهم في تعليمي في كل مراحل دراستي.

و أقدم شكري إلى الأستاذ الدكتور "أحمد إبراهيم الزبير".

و أشكر جزيل الشكر الأستاذتين المناقشتين "بن عزوز حليمة"، "ديدوح فرح".

كما أتقدم بجزيل الامتنان والتقدير إلى الفقيد المرحوم أستاذنا المشرف "الشريفي" رحمه الله وجعل الجنة مثواه بإذنه ومشيئته.

كما نشكر كل من ساعدنا من قريب أو بعيد ولو بكلمة أو دعوة صالحة.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله الذي وفقنا لافتتاح المقال بتحميده وهدانا إلى تصدير الكلام بتمجيده وألهمنا الإقرار بكلمة توحيده.

و بلغنا على طلب الحق وتمهيده والصلاة على المصطفين من عبيده خصوصا على محمد وآله المخصوصين بتأييده وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم أما بعد:

إن البلاغة في اللغة تعني بلوغ الشيء والوصول إليه، فليست البلاغة قبل كل شيء إلا فن من الفنون يعتمد على صفاء الاستعداد الفطري ودقة إدراك الجمال، وتبيين الفروق الخفية بين صنوف الأساليب [1] وعلم البلاغة في اللغة العربية ينقسم إلى ثلاثة أقسام وهي: علم البيان، وعلم البديع، وعلم المعاني[2]، ومن أقسام علم البيان يأتي التشبيه.

وتعريف التشبيه في اللغة العربية يتطلب غوصا في بطون كتب البلاغة.

فالتشبيه كثير في كلام العرب. ولو قال قائل إنّه أكثر كلامهم فإنه لا يبعد عن الصواب، لأن التشبيه له روعة وجمال وموقع في البلاغة، وذلك لإخراجه الخفي إلى الجلي، وإدنائه البعيد من القريب، يزيد المعاني رفعة ووضوحا، ويكسبها جمالا وفضلا، ويكسوها شرفاً ونبلا، فهو فن واسع النطاق، فسيح الخطو، ممتد الحواشي، متشعب الأطراف، متوعر المسلك، غامض المدرك، دقيق المجرى، غزير الجدوى.

ومن أساليب البيان أنك إذا أردت إثبات صفة الموصوف مع التوضيح أو وجه من المبالغة عمدت إلى شيء آخر، تكون هذه الصفة واضحة فيه، وعقدت بين الاثنين مماثلة،

[1] البلاغة الواضحة، لعلي الجارم. مصطفى أمين.دار المعارف لبنان 2011. ص8.

[2] تأصيل البلاغة، بحوث نظرية وتطبيقية في أصول البلاغة العربية، عبد الملك بومنجل، مخبر المناقفة العربية في الأدب ونقده، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف 2، ص10.

تجعلها وسيلة لتوضيح الصيغة أو المبالغة في إثباتها، لهذا كان التشبيه أول طريقة تدل عليه الطبيعة لبيان المعنى.[1]

و هذا ما دعانا للخوض في غمار الدراسة العلمية التي حملت عدة اشكاليات وتساؤلات منها:

فيما يتمثل التشبيه؟ وما هي أقسامه؟ وفيما تكمن خصائص التشبيه؟ وما هي أهم أنواعه؟ وما هي أهم التشبيهات في السورة المباركة؟

خطة البحث:

وفي هذا الصدد استدعت الدراسة المتجمعة لدينا بناء آلية وخطة البحث على مقدمة ومدخل وفصلين.

بحيث عرفنا في المدخل القرآن الكريم وذكرنا أهم مميزات التشبيه في القرآن الكريم.

و الفصل الأول عنوانه بفن التشبيه وقسمناه إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: ماهية التشبيه:

1-مفهوم التشبيه.

2-أركان التشبيه.

3-أداة التشبيه.

4-طرفا التشبيه.

5-وجه الشبه (من حيث الأفراد و...).

[1] جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1999م، ص249.

6-التشبيه باعتبار الأداة ووجه الشبه (التشبيه المرسل، والتشبيه المؤكد، والتشبيه المفصل، والمجمل والبليغ)

المبحث الثاني: من مجالات التشبيه:

1-أقسام التشبيه (عند الرماني، أبي هلال العسكري، المبرد، وعند ابن الأثير)

2-أنواع التشبيه الأخرى: (التشبيه الضمني، والتمثيلي، المقلوب، وغير التمثيلي، والتخييل).

3-التشبيه المفرد والمركب والمتعدد.

4-التمثيل والتشبيه والفرق بينهما.

5-التصوير والتشكيل.

المبحث الثالث: من خصائص التشبيه.

و ذكرنا أولا محاسن التشبيه ثم أغراض التشبيه وعيوبه وبلاغة التشبيه في القرآن الكريم في الأخير.

أما الفصل الثاني: فعنوناه "بدراسة تحليلية لسورة هود".

المبحث الأول: بيانات عن السورة المباركة.

تناولنا- أولا: التعريف بالسورة.

ثانيا: سبب التسمية.

ثالثا: سبب النزول.

رابعا: خلاصة لكل نبي من الأنبياء.

و خامسا: المعنى الإجمالي لسورة هود.

المبحث الثاني: "التشبيهات في سورة هود وصفها وتفسيرها".

1-التشبيهات القرآنية في سورة هود وتحليلها.

2-لمسات بيانية للسورة المباركة.

وفي الأخير خرجنا بخاتمة ذكرنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها.

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على **المنهج الوصفي التحليلي**.

ومن أهم **الأسباب** التي حفزتنا لهذه الدراسة:

-خدمة كتاب الله من خلال التعرف على البلاغة العربية وخاصة بلاغة القرآن الكريم والوصول إلى شيء من أسرار إعجازه.

-أن هذا الموضوع يتصل مباشرة بتفسير آيات القرآن الكريم وتدبرها.

بيان بلاغة القرآن الكريم من خلال دراسة التشبيهات الواردة فيه وإبراز المعاني والحقيقة الصادقة التي جاء بها التشبيه القرآني، لأن القرآن الكريم هو غذاء الأرواح.

تقريب الحقائق وتوضيح الأدلة التي هدفت إليها التشبيهات القرآنية.

ولقد اعتمدنا في هذه الدراسة على مجموعة من **المصادر والمراجع** منها:

التشبيه والاستعارة يوسف أبو العدّوس، الإيضاح في علوم البلاغة لجلال الدين القزويني. البلاغة الواضحة لعلي الجازم ومصطفى أمين، الكشاف للزمخشري، والتحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور وخلال هذه الدراسة واجهتنا عدة **صعوبات** منها:

السبب الأول والرئيسي هو تفشي ظاهرة فيروس كورونا المستجد، مما صعب علينا الخروج إلى المكتبات والاستفادة من الكتب العلمية كما أوجب علينا التواصل مع المشرف عن بعد فقط.

فاستصعب علينا اقتناء الكتب بالرغم من توفرها في المكتبات.

فاللّهُمّ أَعِنِّي وَوَفِقْنِي في إتمام هذه الرسالة وتقديمها بصورة تليق بكتابك الكريم واللهم إني توكلت عليك وسلمت أمري إليك، فلا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، وارزقنا التوفيق يا الله وزدنا علماً وعملاً صالحاً واجعلنا من المتقين المخلصين.

بن رمضان إيمان

3 محرم 1442هـ

الموافق لـ22 أوت 2020م

مدخل

التشبيه في القرآن الكريم

1- تعريف القرآن الكريم:

القرآن هو اللفظ العربي، الموحى به إلى محمد صلّى الله عليه وسلّم بواسطة جبريل عليه السلام، وهو المنقول بالتواتر، المكتوب في المصحف، المتعدد بتلاوته المبدوء بسورة الفاتحة، والمختوم بسورة الناس. فالقرآن هو معجزة الرسول الكبرى، وقد أعجز العرب وهم أهل الفصاحة بما تضمنّه من فصاحة وبلاغة وأنباء الغيب، وأخبار الأمم السابقة، وما حواه القرآن من إعجاز علمي وتشريع محكم دقيق صالح لكل زمان ومكان، ومن الثابت أنّ النّبي صلّى الله عليه وسلّم تحدى قومه بالقرآن وأنهم عجزوا عن الإتيان بمثله لقوله سبحانه وتعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [سورة الإسراء: الآية 88] .

2- التشبيه في القرآن الكريم:

التشبيه لمّح صلة بين أمرين من حيث وقعهما النفس، وبه يوضح الفنان شعوره نحو شيء ما، حتى يصبح واضحاً وضوحاً وجدانيا، فالغرض من التشبيه هو الوضوح والتأثير فالقرآن حيث يشبه محسوسا بمحسوس نرمز أحياناً إلى رسم الصورة كما تحس بها النفس. نجد ذلك في قوله سبحانه وتعالى يصف سفينة نوح: ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾ [سورة هود: الآية 42]، ألا ترى الجبال تصور للعين هذه الأمواج الضخمة، وتصور في الوقت نفسه، ما كان يحس به ركاب السفينة وهم يشاهدون هذه الأمواج، كما يحس بهما من يقف أمام شامخ الجبال وقوله سبحانه وتعالى يصف الجبال يوم القيامة :﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾﴾ [سورة القارعة: الآية 05] فالعهن المنفوش يصور أمامه منظر هذه الجبال، وقد صارت هشة لا تتماسك أجزاؤها ويحصل إلى نفسك معنى دقتها ولينها.

ويرمي أحيانا إلى اشتراك الطرفين في صفة محسوسة ولكن للنفس كذلك نصيبها في اختيار المشبه به الذي له تلك الصفة، فالقرآن شبّه نساء الجنة فقال: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ٥٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٥٧ كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ٥٨﴾ [سورة الرحمن: الآيات56-58] فليس في الياقوت والمرجان لون فحسب وإنما هو لون صاف حي فيه نقاء وهدوء، وهي أحجار كريمة تصان ويحرص عليها، وللنساء نصيبهن من الصيانة والحرص وهن يتخذن من تلك الحجارة زينتهن، فقربت بذلك الصلة واشتد الرباط.

ومنها ما يجمع بين الطرفين المحسوسين معنى، من المعاني لا يدرك بإحدى الحواس، وقلّ ذلك في القرآن الكريم الذي يعتمد في التأثير أكثر اعتماداً على حاسة البصر، ومن القليل قوله سبحانه وتعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ﴾ [سورة الأعراف: الآية179] وصفة ضلال الأنعام من أبرز الصفات وأوضحها لدى النفس.

و كثر في القرآن إيضاح الأمور المعنوية بالصور المرئية المحسوسة تلقى عليها أشعة الضوء تغمرها فتصبح شديدة الأثر. فالقرآن الكريم ليس فيه سوى هذين اللونين من التشبيه:

1- تشبيه المحسوس بالمحسوس.

2- و تشبيه المعقول بالمحسوس.

و التشبيه في القرآن الكريم تعود فائدته إلى المشبه تصويرا له وتوضيحا ولهذا كان المشبه به دائما أقوى من المشبه وأشد وضوحاً.

و أول من يستدعى النظر من خصائص التشبيه في القرآن أنه يستمد عناصره من الطبيعة، وذلك هو سرّ خلوده فهو باقٍ ما بقيت هذه الطبيعة، وسرّ عمومه للناس جميعا، يؤثر فيهم لأنهم يدركون عناصره، ويرونها قريبة منهم، وبين أيديهم، فلا تجد في القرآن

تشبيها مصنوعا يدرك جماله فرد دون آخر. ويتأثر به إنسان دون إنسان، فليس فيه التشبيهات المحلية الضيقة وتشبيهات القرآن تستمد عناصرها من الطبيعة.

فمن خصائص التشبيه القرآني:

أنه ليس عنصرا إضافيا في الجملة، ولكنه جزء أساسي لا يتم المعنى بدونه، وإذا سقط من الجملة انهار المعنى من أساسه، فعمله في الجملة أنه يعطي الفكرة في صورة واضحة مؤكدة، فهو لا يمضي إلى التشبيه كأنما هو عمل مقصود لذاته، ولكن التشبيه يأتي ضرورة في الجملة، يتطلبه المعنى ليصبح واضحاً، قوياً وتأمل قوله سبحانه وتعالى:﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ١٨﴾[سورة البقرة: الآية18]. تجد فكرة عدم سماعهم الحق وأنهم لا ينطقون به، ولا ينظرون إلى الأدلة التي تهدي إليه، إنّما نقلها إليك التشبيه في صورة قوية مؤثرة، كما تدرك شدة الفزع والرهبة التي ألمت بهؤلاء الذين دعوا إلى الجهاد، فلم يدفعهم إيمانهم إليه في رضاء وتسليم، بل ملأ الخوف نفوسهم من أن يكون الموت مصيرهم.

و هكذا تجد للتشبيه مكانة في نقل الفكرة وتصويرها وقلّ أن يأتي التشبيه في القرآن بعد أن تتضح الفكرة نوع وضوح كما في قوله تعالى:﴿وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ﴾ [سورة الأعراف: الآية 171] وإذا أنت تأملت أسلوب الآية الكريمة وجدت هذا التعبير أقوى من أن يقال: وإذ صار الجبل كأنه ظلة. لها في كلمة « نتق » من تصوير انتزاع الجبل من الأرض تصويرا يوحى إلى النفس بالرهبة والفزع، ولما في كلمة فوقهم من زيادة هذا التصوير المفزع وتأكيده في النفس، وذلك كله يمهد التشبيه خير تمهيد، حتى إذ جاء مكن للصورة في النفس، ووطد من أركانها، ومع ذلك ليس التشبيه في الآية عملا إضافيا. بل فيه اتمام المعنى وإكماله، فهو يوحى بالإحاطة بهم. وشمولهم والقرب منهم قرب الظلة من المستظل بها، وفي ذلك ما يوحي بخوف سقوطه عليهم.

ومن خصائص التشبيه القرآني دقته، فهو يصف ويقيد حتى تصبح الصورة دقيقة واضحة أخاذة.

ومن خصائص التشبيه القرآني المقدرة الفائقة في اختيار ألفاظه الدقيقة المصورة الموجبة، تجد ذلك في تشبيه قرآني، وحسي أن أشير هنا إلى بعض أمثلة لهذا الاختبار نجد القرآن قد شبّه بالجبال في موضعين، فقال: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ [سورة هود: الآية 42]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة الشورى: الآية 32]. ولكنك تراه قد آثر كلمة الجبال عند الموج. لما أنها توحي بالضخامة والجلال معاً. أمّا عند وصف السفن فقد آثر كلمة الأعلام، جمع علم بمعنى جبل، وسر إيثارها هو أن الكلمة المشتركة بين عدّة معان تتداعى هذه المعاني عند ذكر هذه الكلمة، ولما كان من معاني العلم ... التي تستخدم للزينة والتجميل. فكأنّما أريد الإشارة إلى جلالها وجمالها معاً. وفي كلمة الأعلام وفاء بتأدية هذا المعنى أدق وفاء ومن مميزات التشبيه القرآني أيضا أن المشبه قد يكون واحداً ويشبه بأمرين أو أكثر، لمحاً لصلة تربط بين هذا الأمر وما يشبهه، تثبيتا للفكرة في النفس أو لمحاً لها من عدّة زوايا.

و يهدف التشبيه في القرآن إلى ما يهدف إليه كل فن بلاغي فيه من التأثير في العاطفة. فترغب أو ترهب ومن أجل هذا كان للمنافقين والكافرين والمشركين نصيب وافر من التشبيه الذي تزيد نفسيتهم وضوحا ويصور وقع الدعوة على قلوبهم، وما كانوا يقابلون به تلك الدعوة من النفور والإعراض وهناك طائفة من التشبيهات ترتبط بيوم القيامة، لجأ إليها القرآن للتصوير والتأثير معاً، فإذا أراد القرآن أن يبين قدرة الله تعالى على أن يأتي بذلك اليوم بأسرع مما يتصور المتصورون لجأ إلى أسرع ما يراه الرائي، فاتخذه مثلا يؤدي إلى الهدف المراد، فيقول :﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾﴾ [سورة النحل: الآية 77].

و هكذا نرى التشبيه يعمل على تمثيل الغائب حتى يصبح حاضرا وتقريب البعيد النائي حتى يصير قريبا دانياً.

فلجأ القرآن إلى التشبيه بصورته فناء هذا العالم الذي نراه مزدهرا أمامنا عامراً بألوان الجمال. فيخيل إلينا استمراره وخلوده، فنجد القرآن في الزرع يرتوي من الماء فيصبح بهيجا نضراً، يعجب رائيه، ولكنه لا يمكن أن يذبل ويصفر، ويصبح هشيماً تذروه الرياح. يجد القرآن في ذلك شبها لهذه الحياة الدنيا، ولقد أوجز القرآن مرة في هذا التشبيه وأطنب، ليستقر معناه في النفس، ويحدث أثره في القلب.

الفصل الأول

فنّ التشبيه

المبحث الأول : ماهية التشبيه

- مفهوم التشبيه
- أركان التشبيه
- طرفا التشبيه
- وجه الشبه
- التشبيه باعتبار الأداة ووجه الشبه

المبحث الثاني: من مجالات التشبيه

- أقسام التشبيه
- أنواع التّشبيه
- التمثيل والتشبيه والفرق بينهما
- التصوير والتشكيل

المبحث الثالث: من خصائص التشبيه

- محاسن التشبيه
- أغراض التشبيه
- عيوب التشبيه
- بلاغة التشبيه في القرآن الكريم

توطئة:

لقد آثرت الحديث عن التشبيه مبينا معناه اللغوي وأقوال العلماء فيه، وتحدثت بإسهاب عن أركان التشبيه وآراء علماء البلاغة فيه مع إعطاء أمثلة حيّة، لتقريب صورة التشبيه، وركّزت على نماذج حيّة من القرآن الكريم التي جرى فيها التشبيه مبيّنًا آراء علماء البلاغة والتفسير في التشبيه.

المبحث الأول : ماهية التشبيه

مفهوم التشبيه:

المعنى اللّغوي:

التشبيه لغة: التمثيل والمماثلة: يقال شبهت هذا بهذا تشبيها، أي مثلته به، والشِّبهُ والشَّبَهُ والتشبيه: المثل والجمع أشباه، وأشبه الشيء بالشيء: ماثله...[1].

المعنى الاصطلاحي:

التشبيه هو صورة تقوم على تمثيل حسّي أو مجرّد لاشتراكهما في صفة حسّية أو مجرّدة أو أكثر[2].

–والتشبيه هو الدّلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى بإحدى أدوات التشبيه، كما نقول: محمد كالأسد شجاعة فالأمر الأوّل في هذا المثال هو "محمد" وهو المشبّه والأمر

[1] انظر: ابن منظور (أبو الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم)، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، ج 8 دوس، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط1، 2007، 1427هـ، ص15(مادّة ش.ب.هـ)

[2] التشبيه والاستعارة منظور ومستأنف للدكتور يوسف أبو العدوس، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط1، 2007، 1427هـ، ص15

الثاني هو "الأسد" وهو المشبّه به وأداة التشبيه هنا الكاف والمعنى المرتبط بالأمرين المشبه والمشبه به وتعرف بوجه الشبه[1].

وقد عرف عند بعض البلاغيين التشبيه بأنّه هو الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى بإحدى أدوات التشبيه لا على وجه الاستعارة التحقيقية ولا المكنية والتجريد[2].

ولا عبرة بهذا القيد لأنّ الاستعارتين التحقيقية نحو:

-رأيت بحرًا في المسجد والمكنية نحو: لعبت بنا يد الزمان مبنيان على تناسي التشبيه والمبالغة في تجاهله حتّى كأنّه لم يكن، فقولنا بالتعريف "بإحدى أدوات التشبيه": نخرج لهاتين الاستعارتين ويخرج أيضا قولنا: جاءني "محمّد وعلي"، وقاتل "زيد" "عمرا" وغير ذلك من الصيغ الدالّة على مشاركة أمر لآخر في معنى، ولكن بطرق أخرى وليس عن طريق أدوات التشبيه[3].

-والتشبيه في اصطلاح البلاغيين له أكثر من تعريف، وهذه التعاريف وإن اختلفت لفظا فإنّها متفقة معنى.

فإن ابن رشيق مثلا يعرفه بقوله: "التشبيه: صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة، لا من جميع جهاته، لأنّه لو ناسبه مناسبة كلّية لكان إيّاه، ألا ترى أنّ قولهم "خدّ كالورد" إنّما أرادوا حمرة أوراق الورد وطراوتها، لا ما سوى ذلك من صفرة وسطه وخضرة كمائمه"[4]

[1] علم البيان، عبد الفتّاح بسيوني، القاهرة، مؤسّسة المختار للنشر والتوزيع، 2015، ط4، ص21

[2] الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين القزويني، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط3، ص37 .

[3] علم البيان لعبد الفتّاح فيود بسيوني، القاهرة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط4، 2015، ص21

[4] العمدة ،ابن رشيق القيرواني، مطبعة السعادة، القاهرة، ج1، 1907م، ص256.

وأبو هلال العسكري يعرّفه بقوله: التشبيه هو: "الوصف بأنّ أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه، ناب منابه أو لم ينب وقد جاء في الشعر وسائر كلام العرب بغير أداة التشبيه، وذلك قولك "زيد شديد كالأسد"، فهذا القول هو الصواب في العرف وداخل في محمود المبالغة، وإن لم يكن زيد في شدّته كالأسد على حقيقته"[1]

-ويعرّفه الخطيب القزويني بقوله: 'التشبيه هو الدّلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى"[2]

ويعرّفه التنوخي بقوله: التشبيه: هو الإخبار بالشبه وهو اشتراك الشيئين في صفة أو أكثر ولا يستوعب جميع الصفات[3] وللتشبيه تعريفات أخرى كثيرة لا تخرج في جوهرها ومضمونها عمّا أوردناه منها آنفا، ومن مجموع هذه التعريفات نستطيع أن نخرج للتشبيه بالتعريف التالي:

التشبيه: بيان أنّ شيئا أو أشياء شاركنا غيرها: صفة أو أكثر بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو مقدّرة تقرّب بين المشبّه والمشبّه به في وجه الشبه[4].

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ "التمثيل" نوع من أنواع التشبيه، وهذا رأي عبد القاهر الجرجاني الذي يقول: "والتمثيل ضرب من ضروب التشبيه، والتشبيه عام والتمثيل أخص منه، فكلّ تمثيل تشبيه وليس كلّ تشبيه تمثيلا"[5]

[1] الصناعتين، أبي هلال العسكري، تح: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر،ط1، 1952م، ص239.

[2] متن التلخيص في "مجموع المتون الكبرى"، للقزويني، السكاكي، مطبعة النيل، القاهرة، 1904م، ص473.

[3] الأقصى القريب، للتنوخي، دون دار النشر، مصر، ص41

[4] علم البيان، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ج1، 1985م، ص62

[5] أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص75

ولكن كثيرا من البلاغيين ينظرون إلى المعنى اللّغوي للتشبيه وهو التمثيل، فيجعلون التشبيه والتمثيل مترادفين، ومن هؤلاء البلاغيين "ضياء الدّين ابن الأثير" الذي يقول: "وجدت علاء البيان قد فرّقوا بين التشبيه والتمثيل، وجعلوا لهذا بابا مفردا، وهما شيء واحد لا فرق بينهما في أصل الوضع، يقال: شبّهت هذا الشيء بهذا الشيء، يقال مثّله به. وما أعلم كيف خفي ذلك عن أولئك العلماء مع ظهوره ووضوحه"[1]

والتشبيه: بيان أن شيئا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر، بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو ملحوظة[2].

أركان التشبيه:

*أركان التشبيه أربعة هي: المشبّه والمشبّه به، ويسمّيان طرفي التشبيه وأداة التشبيه ووجه الشبه، ويجب أن يكون أقوى وأظهر في المشبه به ومنه في المشبه[3]

أركان التشبيه أربعة:

- **المشبّه:** وهو الأمر الذي يراد إلحاقه بغيره
- **المشبه به:** وهو الأمر الذي يراد إلحاق غيره به، ويسمّى كل من المشبّه والمشبّه به بطرفي التشبيه
- **وجه الشبه:** وهو المعنى الجامع الذي يشترك فيه الطرفان ويكون في المشبّه به أعرف وأشهر منه في المشبّه، ونقول "غالبا" لأنّنا نرى بعض التشبيهات وقد صار بها المشبّه أقوى وأكمل في وجه الشبه ومن المشبه به،

[1] المثل السائر، ابن الأثير، قسم1، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ص153

[2] البلاغة الواضحة لعلي الجارم ومصطفى أمين،دار المعارف، لبنان، 2011م،ص20

[3] المصدر نفسه، ص20

فالمدار في ذلك يرجع إلى الفرض الذي من أجله يساق التشبيه وسيتضح هذا الأمر عند حديثنا عن أغراض التشبيه .

- **أداة التشبيه:** وهي اللّفظ الذي يربط بين الطرفين ويدلّ على التشبيه.

هذا ولكل تشبيه غرض، فالغرض من التشبيه، هو الهدف أو الفائدة التي من أجلها يسوق المتكلّم التشبيه والغاية التي ينشدها من ورائه[1].

*ما يتحتّم ذكره من هذه الأركان وما يجوز حذفه:

1. أداة التشبيه:

وهي اللفظ الذي يدل على التشبيه ويربط المشبه بالمشبه، وقد تذكر الأداة في التشبيه، وقد تحذف[2].

وتأتي أداة التشبه حرفا، أو إسما، أو فعلا.

والحرف له لفظتان:

1. **الكاف:** ويليها المشبه به وهي الأصل، مثل قوله الله عز وجل:

2. ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ﴾ [3]

3. **كأن:** (حرف مركب من الكاف وإنّ) ويليها المشبه به، وتفيد التشبيه إذا كان خبرها "جامدًا أو مُؤَولاً بجامد".

4. **والاسم له ألفاظ منها:** "مِثل – شِبه – شَبيه – نَظير – مَثيل " ونحوها.

[1] علم البيان، دراسة تحليلية لمسائل البيان، للدكتور بسيوني عبد الفتاح، ص24

[2] جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، المكتبة المصرية، بيروت، ط1،1999م، ص219.

[3] سورة النحل ،الآية 77.

5. **والفعل له ألفاظ منها:** [يُشبه، يُمائل، يُناظر] ونحوها من كلّ ما يدّل على تشبيه بشيء[1].

طرفا التشبيه:

طرفا التشبيه هنا المشبّه والمشبّه به وهما ركنان أساسيان وبدونهما لا يكون تشبيه.

ولعلّ قدامة بن جعفر هو أول من بحث التشبيه بحثا أقرب إلى المنهاج العلمّي، فأساس التشبيه عنده أن يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معان تعمّهما ويوصفان بها، وافتراق في أشياء ينفرد كلّ واحد منهما بصفتها.

وهو يبني قوّته على أساس أنّ الشيء لا يشبّه بنفسه ولا بغيره من كلّ الجهات، لأنّ الشيئين إذا تشابها من جميع الوجوه، ولم يقع بينهما تغاير البتّة اتّحدا، فصارا الاثنان واحدا، وإذا كان الأمر كذلك، فأحسن التشبيه عنده هو ما وقع بين الشيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها، حتّى يدنى بهما إلى حال الاتحاد.[2]

وقد تابع أبو هلال العسكري قدامة في رأيه القائل بأنّ الشيئين إذا تشابها من جميع الوجوه، ولم يقع بينهما تغاير البتّة اتّحدا، فصار الاثنان واحدا.

وذلك إذ يقول: « ويصح تشبيه الشيء بالشيء جملة، وإن شابهه من وجه واحد».

مثل قولك: وجهك مثل الشمس، ومثل البدر، وإن لم يكن مثلهما في ضيائهما ولا عظمها، وإنّما شبه بهما لمعنى يجمعهما وإيّاه وهو الحسن.

[1] البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن الميداني، دار القلم، دمشق، ج1، ط1، 1414هـ، ص588.

[2] نقد الشعر لقدامة بن جعفر، مطبعة الجوانب، قسطنطينية، ط1، 1302هـ، ص77-78.

وما من شك في أنّ ابن رشيق كان ينظر أيضا إلى قول قدامة عندما قال في كتابه العمدة: إنّ المشبه لو ناسب المشبه به مناسبة كليّة لكان إيّاه. لقولهم:" فلان كالبحر" إنّما يريدون كالبحر سماحة وعلما وليس يريدون ملوحة البحر وزعوقته.[1]

وممّا يجري مجرى الكلام السابق بالنسبة لطرفي التشبيه قول السكّاكي « لا يخفى عليك أنّ التشبيه مستدع طرفين مشبّها ومشبّها به، واشتراكا بينهما من وجه وافتراقا من آخر، مثل أنّ يشتركا في الحقيقة ويختلفا في الصفة أو العكس، فالأول كالإنسانين إذا اختلفا طولا وقصرا، والثاني كالطولين إذا اختلفا دقيقة: إنسانا وفرسا لأنّ تشبيه الشيء لا يكون إلاّ وصفا له بمشاركته المشبّه به في أمر، والشيء لا يتصف بنفسه، كما أنّ علم الاشتراك بين الشيئين في وجه من الوجوه يمنعك محاولة التشبيه بينهما، لرجوعه إلى طلب الوصف حيث لا وصف»[2]

وطرفا التشبيه: إمّا:

1. **حسيّان:** فيكونان من:

أ. **المبصرات:** أي مما يدرك بالبصر من الألوان والأشكال والمقادير، والحركات وما يتصل بها، كقوله سبحانه وتعالى:﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ۝٥٨ ﴾ [3] فالجامع البياض والحمرة.

ب. ويكونان من **المسموعات:** أي ما يدرك بالسمع، من الأصوات الضعيفة والقوية والتي بين بين، نحو تشبيهك صوت بعض الأشياء بصوت غيره، كتشبيه صوت المرأة الجميل بصوت البلبل، وصوت الغاضب الهائج بنباح الكلب.

[1] كتاب عمدة الفقه لقدامة المقدسي، تح: أحمد محمد عزوز، المكتبة العصرية، بيروت، 620هـ، ج1، ص256.

[2] مفتاح العلوم للسكاسي، تح: نعيم زرزور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1987م، ص177.

[3] سورة الرحمن، الآية 58.

ت. ويكونان في **المذوقات:** أي ممّا يدرك بالذوق من المطعوم كتشبيه بعض الفواكه الحلوة بالعسل والسكر.

ث. ويكونان في **المشمومات:** أي ممّا يدرك بحاسة الشمّ من الروائح، وهذا نحو تشبيه رائحة بعض الرياحين برائحة الكافور والمسك وتشبيه أنفاس الطفل بعطر الزهر.

ج. ويكونان من **الملموسات:** أي في كلّ ما يدرك باللّمس من الحرارة والبرودة، والرطوبة واليبوسة.

2. أو **عقليان:** والمراد بالطرفين العقليين أنهما لا يدركان بالحسّ بل بالعقل، وذلك كتشبيه العلم بالحياة، والجهل بالموت، فقد شبّه هنا معقول بمعقول، أي أنّ كلاّ منهما لا يدرك إلا بالعقل.

3. أو **مختلفان:** وذلك بأن يكون أحدهما عقليا والآخر حسّيا والمعقول هو المشبه، والمحسوس هو المشبه به، وكتشبيه العطر بالخلق الكريم، فالمشبه وهو العطر محسوس بالشمّ، والمشبه به وهو الخلق عقليّ والتشبيه الحسّي الذي يدرك هو أو مادته بإحدى الحواس الخمس يدخل فيه أو يلحق به التشبيه الخيالي، والتشبيه الخيالي هو المركب من أمور كل واحد منها موجود يدرك بالحسّ، لكنّ هيئته التركيبية ليس لها وجود حقيقي في عالم الواقع. وإنّما لها وجود متخيّل أو خيالي ولكن لأنّ أجزاء التشبيه الخيالي موجودة تدرك بالحسّ ألحق بالتشبيه الحسّي، لاشتراك الحسّ والخيال في أنّ المدرك بهما صورة لا معنى.

ويدخل البلاغيون في التشبيه العقلي ما يسمونه بالتشبيه «الوهمّي» وهو ما ليس مدركا بإحدى الحواس الخمس الظاهرة، ولكنّه لو وجد فأدرك، لكان مدركا بها.

ويدخل في العقلي أيضا ما يدرك بالوجدان، كاللّذة والألم والشبّع والجوع، والفرح والغضب، وما يدرك بالوجدان يعني ما يدرك بالقوى الباطنية والتي يدرك بها الجوع وكالقوة الغضبية التّي يدرك بها الغضب وكذلك القوة التي يدرك بها الفرح والخوف وغير ذلك من

الغرائز فمثل هذه المعاني توجد بفعل قوى باطنية تدركها النفس بها، وتسمى تلك القوى وجدانا، والمدركات بها وجدانيات، وقد سميت عقلية لخفائها وعدم إدراكها بالحواس الظاهرة، كالألوان المدركة بالعين والطعم المدرك بالذوق.[1]

وجه الشبه:

هو المعنى الذي يشترك فيه طرفا التشبيه، ويعتبر وَجه الشبه الوصف الخاص، الذي قصد اشتراك الطرفين فيه، كقولك محمد كالأسد، ووجه سعد كالشمس، الوجه الأول الجرأة والإقدام وشدّة البطش المشهورة في الأسد، والثاني الحسن والبهاء الثابتان للشمس.

فمن أراد أن يشبه حركة أو هيئة بغيرها فعليه أن يتطلب أمرا يشترك فيه الطرفان[2].

4. وجه الشبه من حيث الإفراد والتعدد:

ووجه الشبه قد يكون واحدا حسّيا كالحمرة وطيب الرائحة ولذة الطعم في تشبيه الخدّ بالورد، والصوت الضعيف بالهمس.

وقد يكون وجه الشبه واحدا عقليا: كالجرأة في تشبيه الرجل الشجاع بالأسد.

وقد يكون وجه الشبه متعددّا حسّيا والمراد بالتعدد هنا أن يذكر في التشبيه عدد من أوجه الشبه من اثنين أو فأكثر مثال أنّ يقال: البرتقالة كالتفاحة في شكلها ولونها وحلاوتها وفي رائحتها.

والمتعدد العقلي نحو: البنت كأمها حنانا وعطفا وعقلا ولطفا.

[1] علم البيان، للدكتور عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ج1، 1405هـ/1985م، ص66-70.

[2] علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع، المراغي أحمد بن مصطفى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1993، ص220.

والمتعدد المختلف نحو: الولد كأبيه في طوله ومشيه وصوته وخلقه.[1]

التشبيه باعتبار الأداة ووجه الشبه:

1. **التشبيه المرسل:**

هو ما ذكرت فيه أداة التشبيه نحو:

العمر مثل الضيف أو كالطيف ليس له إقامة وهو التشبيه الذي قيل بطريقة عفوية أي أرسل بلا تكلف، فذكرت أداة التشبيه بين الطرفين.[2]

2. **التشبيه المؤكد:**

ما أضاف فيه المشبه به إلى المشبه، والمؤكد أوجز، وأبلغ من التشبيه المرسل، وأشد وقفا في النفس، أمّا أنّه أوجز فذلك لحذف الأداة فيه، وأمّا أنّه أبلغ فلإيهامه أنّ المشبه عين المشبه به.[3]

في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾[4]

أي أنّ الجبال ترى يوم ينفخ في الصور تمرّ كمرّ السحاب، أي تسير في الهواء كسير السحاب الذي تسوقه الرياح، فيقصد بالمؤكد أن التشابه بين الطرفين أكيد.

3. **التشبيه المفصل:** وهو ما ذكر فيه وجه الشبه.

4. **التشبيه المجمل:** هو ما حذف منه وجه الشبه، أي أنّ التشبيه مختصر مجموع.

---

[1] علم البيان، للدكتور عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ج1، 1405هـ/1985م، ص85-86.

[2] التشبيه والاستعارة، ليوسف أبو العدوس، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان ط1، 1427/2007 هـ، ص47.

[3] كتاب جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، ص 238.

[4] سورة النمل، الآية 88.

5. **التشبيه البليغ:** وهو ما بلغ درجة القبول لحسنه، أو الطيب الحسن، فكلمّا كان وجه الشبه قليل الظهور، يحتاج في إدراكه إلى إعمال الفكر، كان ذلك أفعل في النفس، وادّعى إلى تأثرها واهتزازها، لما هو مركوز في الطبع من أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له والاشتياق إليه ومعاناة الحنين نحوه، كان نيله أحلى وموقعه في النفس أجل وألطف، وكانت به أضمن وأشغف، وما أشبه هذا الضرب من المعاني بالجوهر في الصدف، وسبب هذه التسمية أنّ ذكر "الطرفين" فقط يوهم اتحادهما، وعدم تفاضلهما، فيعلوا المشبه إلى مستوى المشبه به، وهذه هي المبالغة في قوّة التشبيه[1].

قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ﴾ [2]

المشبه: عرضها أي عرض الجنّة.

المشبه به: عرض السّماوات والأرض.

الأداة: محذوفة.

وجه الشبه: محذوف.

نوع التشبيه: بليغ.[3]

[1] جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، ص238.

[2] سورة آل عمران، الآية 133.

[3] معجم الأساليب البلاغية في القرآن الكريم، صالح، دار الكتاب الثقافي، الأردن، 2004م، ص 236.

المبحث الثاني: من مجالات التشبيه

أقسام التشبيه عند:

1. الرماني: لقد قسم الرماني التشبيه إلى قسمين:

الأول: تشبيه الشيئين المتفقين بأنفسها كتشبيه الجوهر بالجوهر والسواد بالسواد، والثاني تشبيه الشيئين المختلفين لمعنى يجمعها كتشبيه الشدة بالموت، والبيان بالسحر، وتشبيه الشيئين المتفقين بأنفسهما تشبيه الحقيقة وهو القابل لتشبيه البلاغة، وتشبيه الحقيقة لم يهتم به لأنّه ليس له أثر في تلوين المعنى.[1]

وقد أخذ أبو هلال تعريف التشبيه، وأقسامه على الحدّ الذي ذكرناه ويكاد يكون بلفظه وأمثلته في الصياغتين.

وقد فصل القول في تشبيه البلاغة وذكر ضروبه وأنماطه وصوره وغاياته، وتأثيره، وتراه في هذا الباب ملهما عبد القاهر في جزء خصب من دراسته في أسباب التمثيل، وليس من المجازفة أن تقول إنّ جهد عبد القاهر في أسرار التمثيل شرح بارع وتفسير ذكي لما أجهله الرماني، وليس هذا إغفالا للجهد العظيم الذي أضافه عبد القاهر في هذا الباب، وإنّما هو إنصاف جهود جيّدة أجهلها عبد القاهر حين لفت إليه الأذهان بنبوغه الفذ، وسوف نذكر نصين مختصرين لنرى ما بين الرجلين يقول الرماني " والأظهر الذي يقع فيه البيان بالتشبيه على وجوه، منها إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة، ومنها إخراج ما لا تجر به عادة إلى ما جرت به عادة ومنها إخراج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة في الصفة.[2]

[1] الإعجاز البلاغي، لمحمد أبو موسى، مكتبة وهبة للنشر، القاهرة، ط2، 1418هـ-1997م، ص98.

[2] ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، الرماني، الخطابي، الجرجاني، تح: محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، دار المعارف مصر، ط3، 1976م، ص81.

وفي تأملنا لقول الرماني:« والتشبيه البليغ إخراج الأغمض إلى الأظهر» تجده قول عبد القاهر.

«إنّ أنس النفوس موقوف على أن يخرجها من خفي إلى جلي» وقول الرماني« إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه» هو قول عبد القاهر:« نحو أن تنقلها من العقل إلى الحسّ» وقول الرماني « إخراج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بالبديهة» هو قول عبد القاهر« وعما يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع».

وهكذا نجد ما أجمله الرماني يكاد يحيط بما بسطه عبد القاهر، وعلّق شواهده وميّز أقسامه، وقد التفت الباحثون في زماننا إلى خصوبة هذا الباب عند عبد القاهر.

– ولم يكن عبد القاهر هو الذي انتفع بمقالة الرماني في هذا الباب وإنّما رضيها وسار عليها كثير من العلماء.[1]

خلاصة:

وبهذا يكون الرماني قد قسّم التشبيه باعتبارات مختلفة إلى حسّي ونفسي ثمّ إلى تشبيه شيئين متفقين بأنفسهما، وتشبيه شيئين مختلفين لمعنى يجمعهما مشترك بينهما ثمّ قسّمه إلى تشبيه بلاغة وتشبيه الحقيقة، ثمّ جعل تشبيه البلاغة على أربعة وجوه، وهي:

1. إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة.
2. إخراج ما لا تجر به عادة إلى ما جرت به العادة.
3. إخراج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بالبديهة.

[1] الإعجاز البلاغي، لمحمد أبو موسى، ص100.

4. إخراج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة في الصفة.[1]

ولنعد إلى دراسة التشبيه عند الرماني لنستخلص طريقته فقد ذكر لكلّ أنماط التشبيه صورا كثيرة من القرآن الكريم.

يقول في تعليقه على قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ﴾ [2].

– فهذا بيان قد أخرج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه، وقد اجتمعا في بطلان المتوهم مع شدّة الحاجة، وعظم الفاقة، ولو قيل يحسبه الرائي ماء ثمّ يظهر أنّه خلاف ما قدر لكان بليغا.

وأبلغ منه لفظ القرآن لأنّ الظّمآن أشدّ حرصا عليه وتعلق القلب به، ثمّ بعد هذه الخيبة يصل على الحساب الذي يصبّره إلى عذاب الأبد في النار.

نعوذ بالله من هذه الحال، وتشبيه أعمال الكفار بالسراب من حسن التشبيه، فكيف إذا تضمن مع ذلك حسن النظم وعذوبة اللفظ، وكثرة الفائدة، وصحة الدلالة.[3]

والرماني في هذا يدرس التشبيه من عدّة جهات:

• **أولا:** النظر **إلى ما فيه من عنصر البيان والكشف**، فقد أبرز هذا التشبيه الأمر الذي يدرك بالفكر في صورة ما يدرك بالحس، فأعمال الكافرين الذين يأملون نفعها كالإحسان، وصلات ذي القربى لا يجدون لها جزاء يوم القيامة حينما يكونون في أشدّ الحاجة إلى هذا الجزاء، وهذه الحالة أبرزها التشبيه في صورة محسوسة هي صورة السراب

[1] التشبيه والاستعارة، ليوسف أبو العدوس، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان ط1، 1427/2007 هـ، ص22.

[2] سورة النور، الآية 39.

[3] ثلاث رسائل، الرماني، الخطابي، الجرجاني، ص82

الذي يخيل في الصحراء أنّه ماء فيتعلق به الظامئ الملهوف، وكلّما جدّ في الوصول إليه اشتدّ ظمأه وتحرقه حتّى إذا جاءه لم يجده شيئا ويفجؤه هول رهيب.

• **ثانيا: استخراج الصفة المشتركة،** التي تجمع الطرفين ويكمن فيهما المغزى، وقد علق عبد القاهر عليها كثيرا من صفات التشبيه وعدّها الخيط الدقيق المدفون في قلب الأشياء والجامع بينهما، والتغلغل إليه وكشفه موجب للفضيلة، والمهم أن صورة الظامئ والسراب جيء بها هنا لتؤكد في النفس عدم انتفاع الكافر بشيء من هذه الأعمال مع شدّة تلهفه إلى هذا النفع، وقد تمثل هذا في تحرق الظامئ وشدّة حاجته إلى الماء، انخداعه بالسراب وكده نحوه، ثمّ خيبة أمله في الحصول على ما يريد، وقد ركّز الرماني ذلك في عبارة أدّق من كلامنا حين قال: « وقد اجتمعا في بطلان المتوهم مع شدّة الحاجة وعظم.

• **ثالثا: النظر في العناصر التي تتكون منها الصورة،** لأنّ الدّقة في اختيار هذه العناصر هي التي تكسب الصورة ثراء، وخصوبة، وتجعلها أقدر على التعبير والإيحاء، وبمقدار شمول الدلالة واستيعابها وقدرتها على الإشارة والوحي تكون منزلة التشبيه وبلاغته.

• **رابعا: البحث في الصياغة ودراسة ما فيها من خصائص** تفصح عن خفايا المعاني ثمّ ما تتصف به من سلاسة أو عذوبة، فجلال التشبيه في الآية الكريمة كما قال يرجع أيضا إلى حسن النظم، وعذوبة اللفظ، وكثرة الفائدة، وجهة الدلالة، وإذا راجعنا صياغة الآية الكريمة لنستخرج منها هذه الصفات، ضئيل تافه، وتظهر هذه الإشارة الدقيقة حين نذهب هذه الخصوصية ونقول: أعمالهم كالسراب ذلك ما وراءه من تعلق هذا الظامئ المتحرق بالأمل وإن كان ضعيفا تائها ثم هذه الكاف التي تجعل هذه الأعمال في مرتبة أدنى من مرتبة السراب، ووراء ذلك استخفاف بها وإزراء لها، ثم وقوع كلمة شيئا مفعولا به لقوله: " لم يجده"، وكان يمكن أن يقول لم يجده ماء. ولكن كلمة شيء جعلته عدما مطلقا، ثمّ في ذكر ضمير السّراب حيث قال: "لم يجده"، وكان يمكن أن يقول لم يجد شيئا، ولكن الضّمير نصّ على الأمل المنشود وصيّره عدما، وفي ذلك إبراز للمغزى وخيبة الأمل وشيء آخر في هذه

الهاء هو تهيئة الكلام لقوله بعد ذلك عزّ وجلّ جلاله: ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾[1] لأن لو قال حتّى إذا جاءه لم يجد شيئا بدون الهاء لكان متناقضا مع قوله:﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾، ثم انظر إلى إسناد التوفية إلى ضمير ذي الجلال والله هو الذي يتولى تعذيبه بنفسه، وفيه من الدّلالة على شدّة الغضب ما فيه "هذه هي الحدود التي رسمها الرّماني لدراسة صور التّشبيه، وقال في تعليقه على قوله سبحانه وتعالى:﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ﴾ [2]، وهذا بيان قد أخرج ما لا تقع عليه الحاسّة إلى ما تقع عليه، فقد اجتمع المشبّه والمشبّه به في الهلاك وعدم الانتفاع والعجز عن الاستدراك لما فات وفي ذلك الحسرة العظيمة والموعظة البليغة.

والذي لا تقع عليه الحاسّة هو أعمال الكافرين من حيث أنّها تذهب بددا لا ينتفعون بشيء منها، فقد تمثّل هذا المعنى في صورة الرّماد الذي يعصف به الرّيح وتذهب به في جهات هبوبها، ولا يبقى منه شيء، وهذه الصّورة وإن كانت تشترك في الموضوع مع صورة السّراب إلا أنّها تختلف عنها اختلافا دقيقا ومهمّا، وذلك في المغزى ولب الغرض، بيان هذا أنّ الصّورة الأولى تهتم بتصوير اللّهفة، والحاجة الماسة إلى الانتفاع بهذه الأعمال ثمّ الخيبة والمفاجأة بخديعة الأمل وأنّه ما كان إلاّ وهما، ولهذا كانت عناصرها الظّامئ والسّراب، وهاتان الكلمتان كما ترى لهما دلالة قويّة على هذا المغزى، بل إنّ كلمة السّراب تكاد تكون رامزا حيّا في هذا الباب.

أمّا الصّورة الثّانية: فإنّها تهتم ببيان عدم النفع لأعمال الكافرين وإنّها تصير يوم القيامة بددا من غير أن تركّز على معنى اللّهفة والتّعلّق الذي ركّزت عليه الصّورة الأخرى، وكانت عناصر الصّورة هنا هي الرّماد، والرّيح، واليوم العاصف، وكلّها كما نرى تأكّد معنى

[1] سورة النور، الآية 39.

[2] سورة ابراهيم، الآية 18.

الضّياع، وقد أدرك الرّماني ذلك وأشار إليه إشارة قريبة حيث قال في التّعليق الأوّل "وقد اجتمع في بطلان المتوهّم مع شدّة الحاجة وعظم الفاقة"، وقال في الثّانية : "فقد اجتمع المشبّه والمشبّه به في الهلاك وعدم الانتفاع والعجز عن الاستدراك، فالجامع هناك بطلان متوهّم مع شدّة الحاجة، والجامع هنا هلاك وعدم انتفاع، ولا شكّ أنّ الرّماني نظر في هذه الصّورة نظرا دقيقا حتّى استخرج هذه القرون وطريقة تهدينا إلى النّظر في كلمة رماد وما فيها من معنى الاحتراق والضّياع والخفّة.

واضح أنّ التّشبيه بكلماته وصياغته متّجهه إلى إبراز معنى الضّياع والهلاك وعدم الانتفاع الذي لاحظه الرّماني، هاتان الصّورتان من النوع الذي أخرج به ما لا تقع عليه الحاسّة إلى ما تقع عليه، ويلاحظ أن الحاسّة هنا حاسّة البصر، وأكثر في تصوير القرآن الكريم من غيره.

أمّا التّشبيه الذي يعتمد عليه البداهة أي إخراج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بها، فقد ذكر الرّماني ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾. [1] اعتمد التّشبيه هنا على أنّ جليّ في النّفوس وكأنّه من الأمور المعلومة بالضّرورة، فإنّ هذا العرض أرحب وأفسح ما تعرفه النّفوس وتحسّه إحساسا منكشفا، الصّورة إذا تصف بعدا فسيحا لعرض الجنّة من غير معاناة في التّصوير.

أمّا إخراج ما لا قوّة له في الصّفة إلى ما له قوّة فيها، أعني إلحاق النّاقص بالكامل، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾﴾ [2]، فقد شبّه السّفن المرفوعات، الشّرع المنشآت، الأمواج في البحر بالأعلام أي الجبال الطّويلة، والصّفة المشتركة هي العظم، وهي في الجبال أقوى والمراد هنا تجلية مظهر من مظاهر قدرة الله

[1] سورة الحديد، الآية 21.

[2] سورة الرحمن، الآية 24.

سبحانه وتعالى، وأنّه ييسّر لهذه الجواري الضّخمة والحركة على سطح الماء. وهذا نوع من التّشبيه عند الرّماني.

ووجّه كون التّشبيه في القرآن من أبواب بلاغته المعجزة وهو ذاك الوجه الذي قلناه في الإيجاز، ولم ينبه الرّماني هنا ما نبّه إليه هناك، ولعلّه اكتفى به أو لاحظ أنّ كثرة الشواهد القرآنية التي أبان عن أسرارها تهدي إلى معرفة الإعجاز فيه، ولكنّنا لا ندرك ذلك إدراكا يضع اليد على حقائقه إلاّ إذا إستقصينا تشبيهات القرآن وأيضا عن طرائقها في كشف غوامض المعاني والأصوات والمواقف وكيف رمت بها في القلوب من أيسر طريق[1] .

2- عند أبي هلال العسكريّ:

وقسّم أبو هلال العسكريّ التّشبيه إلى ثلاثة وجوه :

- تشبيه شيئين متّفقين من جهة اللّون مثل تشبيه الماء بالماء والغراب بالغراب .
- تشبيه شيئين متّفقين يعرف اتّفاقهما بدليل كتشبيه الجوهر بالجوهر والسّواد بالسّواد .
- تشبيه شيئين مختلفين لمعنى يجمعهما، كتشبيه البيان بالسّحر والمعنى الذي يجمعهما لطاقة التّدبير ودقّة المسلك[2].

وعند أبي هلال العسكريّ أن أجود التّشبيه وأبلغه ما يقع على أربعة أوجه[3].

[1] ينظر الإعجاز البلاغي، محمد أبو موسى، ص102-113.

[2] ابي هلال العسكري (الحسن بن عبد الله بن سهل). كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، تح، علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1952 م ،ص. 157.

[3] نفس المصدر، ص. 159.

• أحدهما إخراج ما لا تقع عليه الحاسّة إلى ما تقع عليه، وهكذا قوله سبحانه وتعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ﴾[1] ، والمعنى الجامع بينهما بعد التّلاقي وعدم الإنتفاع.

• والوجه الثّاني والآخر : ما لم تجر به العادة إلى ما جرت به العادة كقوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ﴾[2]، والمعنى الجامع بين المشبّه والمشبّه به الإنتفاع بالصّورة .

• والوجه الثّالث : إخراج ما لا يعرف بالبديهة إلى ما يعرف بها ،فمن هذا قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾[3]، فقد أخرج ما لا يعلم بالبديهة وهو عرض الجنّة، إلى ما يعلم بها، والجامع بين الأمرين العظم والفائدة في التّشويق إلى الجنّة بحسن الصّفة.

• والوجه الرّابع :إخراج ما لا قوّة له في الصّفة إلى ما له قوّة فيها، كقوله عزّ وجلّ: ﴿ وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ٢٤﴾[4].

3- عند المبرد:

والمبرد من أوائل العلماء الذين درسوا فنّ التّشبيه وهو يقسّمه الى أربعة أضرب:

1. التّشبيه المفرط: وهو التّشبيه المفرط فيه: أو المبالغ في الصّفة التي تجمع بين المشبّه والمشبّه به.

[1] سورة ابراهيم، الآية 18.

[2] سورة الأعراف، الآية 171.

[3] سورة آل عمران، الآية 133.

[4] سورة الرحمن، الآية 24.

2. التّشبيه المصيب: يعني به ما خلى من المبالغة وأخرج الأغمض إلى الأوضح.

3. التّشبيه المقارب: وهذا من نوع التّشبيه المقلوب الذي يجعل فيه المشبّه مشبّها به.

4. التّشبيه البعيد: وهو الذي يحتاج إلى تفسير وهذا النوع من أخشن الكلام، وغير قائم بنفسه.[1]

وقال الله عزّ وجلّ جلاله: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ﴾[2]، في انهّم قد تعاصوا على التوراة واضربوا عن حدودها وأمرها ونهيها كمثل الحمار يحمل على ظهره كتبا من كتب العلم، لا ينتفع بها، ولا يعقل ما فيها، فكذلك الذين أتوا التوراة التي فيها بيان أمر محمد صلى الله عليه وسلم، مثلهم إذا لم ينتفعوا بما فيها كمثل الحمار الذي يحمل أسفارًا فيها علم، فهو لا يعقلها ولا ينفع بها[3].

4- عند ابن الأثير:

وتحدّث ابن الأثير عن فائدة التّشبيه، ورأى بأنّ تشبيه الشّيئين أحدهما بالآخر لا يخلو من أربعة أقسام وهي:

1. تشبيه معنى بمعنى.

2. تشبيه صورة بصورة.

3. تشبيه معنى بصورة.

4. تشبيه صورة بمعنى.

---

[1] المبرد، (أبو العباس محمد بن يزيد)، الكامل، تعليق محمد أبو الفضل وابراهيم السيد شحاته، دار نهضة مصر للطبع والنشر، 2003، ج3، ص59.

[2] سورة الجمعة، الآية 05.

[3] تفسير الطبري، تفسير سورة الجمعة، ج23، ص377.

وقسّم التّشبيه عامّة إلى أربعة أنواع:

1. تشبيه مفرد بمفرد.

2. تشبيه مركب بمركب.

3. تشبيه مفرد بمركب.

4. تشبيه مركب بمفرد.[1]

ملاحظة:

ومن الوجوه التي يجري عليها التّشبيه إذا شبّه الشيئين أحدهما بالآخر:

– تشبيه الشّيء بالشّيء من جهة الصّورة والشّكل نحو أن يشبّه الشّيء إذا استدار بالكرة في وجه، وبالحلقة في وجه آخر، وكالتّشبيه من جهة اللّون كتشبيه الخدود بالورد، أو جمع الصّورة واللّون كتشبيه الثريّا بعنقود الكرم المنوّر...

– وكذلك التّشبيه من جهة الهيئة، نحو أنه مستو منتصب مديد، كتشبيه القامة بالرمح، وكذلك كل تشبيه جمع بين شيئين فيما يدخل الحواس نحو تشبيهك صوت بعض الأشياء بصوت غيره.[2]

أنواع التّشبيه الأخرى:

1. التّشبيه الضّمني: هو نوع من التّشبيه لا يوضع فيه المشبّه والمشبّه به في صورة من صور التّشبيه المعروفة، وإنّما يلمّح التّشبيه ويعرف من قرينة الكلام، ومضمونه، ولذلك سميّ تشبيها ضمنيّا.

[1] التشبيه والاستعارة، ليوسف أبو العدوس، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2007م، 1427هـ، ص33

[2] أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني، المكتبة العصري وللطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1424 هـ–2003 م ،ص69.

وهكذا يلاحظ أن بنية التّشبيه الضّمنيّ ترتكز على مبدأين أساسيّين هما:

– لا تظهر أركان التّشبيه المعروفة بالطّريقة التّقليدية في التّشبيه الضّمني، فلا تظهر الأداة ولا أيّ لفظ يمكن أن يؤدّي دورها، لا شيء يشير ظاهريّا إلى وجود تشبيه.

فإنّ ظاهرة إخفاء بنية التّشبيه في "التّشبيه الضّمنيّ" هي الخاصّية الرّئيسية التي تميّزه عن غيره من التّشابيه.

– لا يكون التّشبيه الضّمني إلاّ بين صورتين، وكلّ صورة لا بدّ من أن تكون مجسّدة في جملة أو أكثر، فهو لا يقع بين مشبّه ومشبّه به مفردين.[1]

ومن أمثلة التّشبيه الضّمني في القرآن الكريم في سورة البقرة حيث يقول الله سبحانه وتعالى: " أيودّ أحدكم أن تكون له جنّة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كلّ الثّمرات وأصابه الكبر وله ذريّة ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت".[2]

فلقد تضمّنت الآية تشبيها ضمنيّا لمن لا ينفق أمواله في سبيل الله أو يتبع إنفاقه بالمنّ والأذى، فإنّ ذلك يجعل المال ممحوقا محترقا، تماما كالثّمرات التي أصابها إعصار فيه نار فاحترقت فهو تشبيه ضمنيّ يدعم القضيّة بأسلوب واضح.[3]

2. التّشبيه التّمثيلي: هو التّشبيه الذي يكون فيه وجه الشّبه صورة منتزعة من مركب[4].

[1] التشبيه والاستعارة، يوسف ابو العدوس، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، عمان ،2007 م ،1427 هـ، ص51. 53.

[2] سورة البقرة، الآية 266.

[3] التشبيه الضمني، ميسر زكريا محمد، العدد 90 98، نشرت يوم 19 يونيو 2017، النسخة الالكترونية، بوابة كنانة اون لاين.

[4] التشبيه والاستعارة، يوسف ابو العدوس، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، عمان ،2007 م، 1427 هـ، ص 54.

ومن قوله سبحانه وتعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١﴾[1] .

- المشبّه : حال من ينفق قليلا من المال في سبيل الله ثم يلقى عليه جزاءا جزيلا .

- المشبّه به: حال من بذر حبّة، فأنبتت سبع سنابل في كلّ سنبلة مائة حبّة.

- .وجه الشبّه: صورة من يعمل قليلا فيجني من ثمار عمله كثيرا .

3. التّشبيه المقلوب: ويسمّى أيضا التّشبيه المعكوس، فيجعل المشبّه مشبّه به، وبالعكس فتعود فائدته إلى المشبّه به، لإدّعاء أنّ المشبّه أتمّ وأكمل وأشهر من المشبّه به في وجه الشبه والمقصود من هذا القلب في التّشبيه المبالغة[2].

وقد سمّى ابن جنّي هذا التّشبيه: "غلبة الفروع على الأصول [3]، وسمّاه ابن الأثير "الطّرد والعكس[4]".

ومن أمثلة التّشبيه المقلوب قوله سبحانه وتعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾[5] إذ الأصل إنّما الرّبا مثل البيع في الحلبة، ولكنّهم قلبوا التّشبيه مبالغة في اعتقادهم الفاسد أنّ الرّبا ليس حراما بل هو أصل الحلال لإلفهم له، وتعاملهم به، فشبّهوا البيع بالرّبا في أنّهما جائزان، مبالغة في تحليل الرّبا، ولكنّ الله أبطل مقالتهم واعتقادهم الفاسد.

---

[1] سوره البقرة، الآية 261.

[2] ما حول التشبيه المقلوب، انظر الاشارات والتنبيهات في علم البلاغة للجرجاني، تح: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، 1997م، ص 190. والاكسبير في علم التفسير ص 134، جواهر البلاغة لعبد العزيز عتيق، ص 233، 240.

[3] الخصائص، لابن جني، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، تح: محمد علي النجار، 1955م، ص 300.

[4] المثل السائر، ضياء الدين بن الأثير، دار نهضة مصر، للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، ص 163 وما بعدها.

[5] سورة البقرة ،الآية 275.

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ﴾[1]، إنكارا لتسويتهم بينهما ودلالة على أنّ القياس يهدمه النّص، لأنّه جعل الدّليل على بطلان قياسهم إحلال الله وتحريمه.

وأمّا عبد القاهر الجرجاني فقد قسّم التّشبيه إلى قسمين: تمثيلي وغير تمثيلي:

❖ أمّا التّشبيه غير التّمثيلي: فهو ما كان وجه الشّبه فيه أمرا بيّنا بنفسه، لا يحتاج فيه إلى تأويل وصرف على الظّاهر، لأنّ المشبّه به مشارك للمشبّه في نفس وجه الشّبه وحقيقته، لا في مقتضاه ولازمه، وهذا المعنى يتحقّق في أمرين:

أ- أن يكون وجه الشّبه حسّيّا، أي يدرك بإحدى الحواس الخمس الظّاهرة، فيكون من المبصرات، أو المسموعات، أو المشمومات.

ب- أن يكون وجه الشّبه (غريزيّا طبيعيّا)، فإنّ الغرائز والطّباع وإن كانت عقليّة، فإنّها لا تدرك بالحواس بل تلحق بالحسّيّات ...كالشّجاعة والكرم والذّكاء والجبن.

❖ أمّا التّشبيه التّمثيلي: فهو ما لا يكون وجه الشّبه فيه أمرا بّينا بنفسه، بل يحتاج في تحصيله وإدراكه الى تأوّل وصرف عن الظّاهر، لانّ المشبّه غير مشارك للمشبّه به في حقيقة وجه الشّبه، وإنّما في مقتضاه ولازمه، والمثال على ذلك قولهم:" ألفاظه كالعسل في الحلاوة" فإنّ الحلاوة وجه شبه ظاهريّ فقط، لأنّ المشبّه به وهو العسل يوصف بالحلاوة على سبيل الحقيقة، أمّا المشبّه وهو الألفاظ فلا يوصف بها إلاّ على سبيل التّأويل[2].

[1] سورة البقرة الآية 275.

[2] التشبيه والاستعارة، يوسف ابو العدوس، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، عمان ،2007، م 1425 هـ، ص 61 ،62.

4. تشبيه التّخييل :

وهو ما يكون المشبّه به أمرا قد صنعه الخيال المحض، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ٦٥﴾[1]، يقول الزّمخشري: وشبّه رؤوس الشّياطين دلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر، لأنّ الشّيطان مكروه مستقبح في طباع النّاس، لاعتقادهم أنّه شرّ محض لا يخلطه خير. فيقولون في قبيح الصّورة كأنّه وجه شيطان، كأنّه رأس شيطان، وإذا صوّره المصوّرون جاءوا بصورته على أقبح ما يقدرون وأهوله.

كما أنّهم اعتقدوا في الملك أنّه خير محض لا شرّ فيه، فشبّهوا به الصّورة الحسنة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ٣١﴾[2]، وهذا تشبيه تخييل[3].

5. المفرد والمركّب والمتعدّد :

وقد أشار الزّمخشري إلى التّشبيه المفرد في مواطن كثيرة، من ذلك ما أشرنا إليه في تشبيه التّخييل في آية رؤوس الشّياطين . وقد ناقش أبو العلاء في قوله:

حَمْرَاءُ سَاطِعَةُ الذَّوَائِبِ فِي الدُّجَى تَرْمِي بِكُلِّ شَرَارَةٍ كَالْطُّرَافِ

فشبيها بالطراف وهو بيت الأدم في العظم والحصرة، وكأنّه قصد بخبئه أن يزيد على تشبيه القرآن، ولقد عمل جمع الله له عمل الدّارين – عن قوله جلّ وعلاه: ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ ٣٣﴾[4]، فإنّه بمنزلة قوله كبيت أحمر، وعلى أنّ التشبيه بالقصر وهي الحصن تشبيها

[1] سورة الصافات، الآية 65.

[2] سورة يوسف، الآية 31.

[3] الكشاف، للزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ج3، ط3، 1407هـ، ص 47.

[4] سورة المرسلات، الآية 33.

من جهتين، من جهة العظم ومن جهة الطول في الهواء، وفي التشبيه بالجمالات وهي القلوص تشبيه من ثلاث جهات:

من جهة العظم والطول والصفرة.

و الفروق بين تشبيه الشرارة بالقصر وتشبيهها بالطراف لا يقف عن هذا الظاهر وذلك لأنّ تشبيه القرآن فيه تصوير للهول والفزع توحى به ضخامة القصر، على أننا لا نجد مبررا.

يقول الزمخشري في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾[1].

يجوز في هذا التشبيه أن يكون من المركب والمفرق فإن كان تشبيها مركبا فكأنه قال: من أشرك باللّه فقد أهلك نفسه إهلاكا ليس بعده نهاية بأن صور حاله بحالة من فر من السماء فاختطفته الطّير، وتفرق مزعا في حواصلها أو عصف به الرّيح حتى هوت به في بعض المطاريح البعيدة[2].

وإن كان مفرقا فقد شبه الإيمان على علوه في السماء والذي ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من السماء والأهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطف والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوى بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة[3].

[1] سورة الحج، الآية 31.

[2] البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في دراسات البلاغية، لمحمد أبو موسى، دار الفكر العربي، القاهرة، 1988م، 1441هـ، ص 399.

[3] الكشاف، الزمخشري، ج 03، ص 127.

- التمثيل والتشبيه والفرق بينهما:

ذكر الناس أن الزمخشري لم يفرق بين التشبيه والتمثيل بخلاف عبد القاهر وتبعه الرازي والسكاكي والخطيب كلّهم يفرقون بين التمثيل والتشبيه الصريح وإن اختلفوا في التحديد والزمخشري تبعه ابن الأثير لم يفرق بينهما، وللتمثيل مدلولات كثيرة في بلاغة الكشاف وهي أقرب إلى الاستعمال اللغوي فهو يطلقه على التشبيه وعلى الاستعارة التمثيلية، وعلى الاستعارة في المفرد، وعلى فرض المعاني.

وقد عنيت ببيان رأيه في التشبيه والتمثيل ليتحقق عندما ذكره الناس من أنّه لا يفرق بينهما، وكان الذي يثبت هذا هو أن أراه قد أطلق اصطلاح التمثيل على صورة أو صور اتفق على أنّها من التشبيه الصريح، ولا يكفي أن يقول المثل والمِثل والمثيل كالشَبه والشِبه والشبيه، لأنّ هذه تفسيرات لغوية لا تدل على مفهوم اصطلاح معيّن، وقد تسامح أكثر البلاغيين حينما ساقوا مثل هذا القول دليل على أن التشبيه والتمثيل عنده سواء، ولا يكفي كذلك أن ينطق التشبيه على صور التمثيل لعموم التشبيه عند من يفرق بينهما.

و قد قال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩﴾ [1]، فتشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير، وتمثيل أصواتهم بالنهاق، ثمّ إخلاء الكلام من لفظ التشبيه، وإخراجه مخرج الاستعارة، وإن جعلوا حميرا وصوتهم نهاقا، مبالغة شديدة في الذم والتهجين، وإفراط في التثبيط عن رفع الصوت وتشبيه الأصوات بالنهاق تشبيه صريح، ولكن الزمخشري سمّاه تمثيلا وذلك لأنّه كما قالوا أن فرق بينهما، ولست أعتقد أنّ هناك دليلا واضحا على صحة هذه الدعوى، أعني عدم التفريق بينهما، ولست أعتقد أن هناك دليلا واضحا على صحة هذه الدعوى أعني عدم التفريق بينهما إلاّ كلامه في هذه الآية فذلك هو الدليل الذي يتطرق إليه الاحتمال.

[1] سورة لقمان، الآية 19.

وهذه المسألة مسألة اصطلاحية هينة لا تتصل بأساس من أسس الفن ولذلك تجد الذين يفرقون بين التشبيه والتمثيل يختلفون في وجه الفرق فما كان تمثيلا عند أحدهم لا يكون تمثيلا عند غيره، ولا ضمير على البلاغة في هذا الاتفاق أو الاختلاف[1].

ويسمى التشبيه تمثيلا إذا كان وجه الشبه فيه صورة منتزعه من متعدد، وغير تمثيل إذا لم يكن وجه الشبه كذلك[2]، فقد اختلف البلاغيون في النظر إلى العلاقة بينهما ويمكن تلخيص آرائهم كالتالي:

1- يرى فريق أنّ التشبيه والتمثيل مترادفان لا فارق بينهما لابن سنان الخفاجي، وابن الأثير والزمخشري.

2- و يرى فريق ثاني أنّ التمثيل نوع من المجاز، وضرب من الاستعارة ومن هم: (فخر الدين الرازي، والبقلاني، وابن رشيق القيرواني).

3- و يرى قدامة ابن جعفر، وابن الأصبع أن التمثيل هو الاستعارة إلى معنى يفهم من الكلام من غير أن يعبر عنه تعبيرا مباشرا[3].

- التصوير والتشكيل:

و يحدثنا الزمخشري أن أثر التشبيه في تصوير المعاني وتشخيصها وسوقها في سياق من صنعة الأسلوب تكشفها وتحققها، وهو في هذا العالم بصير بأحوال الأساليب وقيمة فعلها في نفس متلقيها، يقول في هذا ولضرب العرب الأمثال، واستحضار العلماء المثل والنظائر، شأن ليس بالخفي في إبراز خبايا المعاني، ورفع الأستار عن الحقائق، حتى تريك

[1] البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في دراسات البلاغية، لمحمد أبو موسى، دار الفكر العربي، القاهرة، 1988م، 1441هـ، ص 402-403.

[2] البلاغة الواضحة، لعلي الجارم ومصطفى أمين، دار المعرف، بيروت، 1937م، ص 35.

[3] التشبيه والاستعارة، ليوسف أبو العدوس، ص 60-61.

المتخيل في صورة المحقق، والمتوهم في معرض المتيقن، والغائب كأنّه مشاهد والأمر ما أكثر الله في كتابه المبين وفي سائر كتبه أمثاله، وفشت في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكلام الأنبياء والحكماء، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾[1] .

والمثل في أصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير، يقال مَثل ومِثل، ومثيل، كشَبه وشِبه وشبيه ... ويقول " والتشبيهات إنما هي الطرق إلى المعاني المحتجبة في الأشياء حتّى تبرزها وتكشف عنها، وتصورها للأفهام".

ويقول لأنّ التمثيل ما يكشف المعاني ويوضحها لأنّه بمنزلة التصوير والتشكيل لها[2].

وهذا لا يخرج عن بيان ما في صور التشبيه من توضيح المعنى وقوة كشفه وتقريره حتى يؤثر في النفس، وينفذ إلى مواطن الحس والشعور بقوة التصوير والتشكيل[3].

[1] سورة العنكبوت، الآية 43.

[2] الكشاف، الزمخشري، ص 358، ص 377.

[3] الكشاف، الزمخشري، ص 404.

المبحث الثالث: من خصائص التشبيه

- محاسن التشبيه:

من بلاغة التشبيه أنّ يشبّه الشيء بما هو أكبر منه وأعظم، لأنّ التشبيه لا يعمد إليه إلاّ لضرب من المبالغة، فإمّا أن يكون مدحا أو ذما أو بيانا وإيضاحا، ولا يخرج عن هذه المعاني الثلاثة، وإذا كان الأمر كذلك فلا بدّ من تقدير لفظه "أفعل" فإن لم تقدّر فيه لفظ "أفعل" فليس تشبيه بليغ. ألا ترى أنّ نقول في التشبيه المضمر الأداة « زيد أسد » فقد شبهنا زيدا بأسد الذي هو أشجع منه، فإن لم يكن المشبه به في هذا المقام أشجع من زيد الذي هو المشبه، كان التشبيه ناقص إذ لا مبالغة. ومن التشبيه المظهر للأداة قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾﴾[1] وهذا تشبيه كبير بما هو أكبر لأنّ السفن البحرية وإن كانت كبيرة فإن الجبال أكبر منها.

وكذلك إذا شبّه شيء حسن بشيء حسن فإنّه إذا لم يشبه بما هو أحسن منه فليس بوارد على طريق البلاغة، وإن شبّه قبيح بقبيح فينبغي أن يكون المشبه به أقبح، وإن قصد البيان والإيضاح فينبغي أن يكون المشبه به أبين وأوضح.

وقد عرفنا مما سبق أنّ تشبيه الشيئين أحدهما بالآخر لا يخلو من أن يكون تشبيه معنى بمعنى، أو صورة بصورة، أو تشبيه معنى بصورة، أو صورة بمعنى وأبلغ هذه الأنواع هو تشبيه معنى بصورة:

كقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ﴾[2] ووجه بلاغة هذا النوع تأتي من تمثله للمعاني الموهومة بالصور المشاهدة.

---

[1] سورة الرحمن، الآية 24.

[2] سورة النور، الآية 39.

ومن محاسن التشبيه مضمر الأداة قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠﴾[1] وشبه الليلّ باللّباس، لأنّ اللّيل من شأنه أن يستر الناس بعضهم عن بعض لمن أراد هربا من العدو، وهذا من التشبيهات التي لم يأت بها إلاّ القرآن الكريم.

و الأصل في حسن التشبيه أن يشبه الغائب الخفي غير المعتاد بالظاهر المعتاد، وهذا ما يؤدّي إلى إيضاح المعنى وبيان المراد وذلك كقول الرسول صلى الله عليه وسلم: « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»[2] وفي الحديث إرشاد إلى خفة الحال وعدم الارتباط والتعلق الشديد بالدنيا، فالغريب لا يرتبط بالدنيا وابن السبيل لا وجود له في مكان إلاّ بمقدار العبور وقطع المسافة، فهذا المعنى أظهره التشبيه نهاية الظهور. ويؤكد أبو هلال العسكري هذا الأصل من أصول التشبيه الحسن بقوله:" والتشبيه يزيد المعنى وضوحا ويكسبه تأكيدا " ولهذا أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه، ولم يستغن أحد منهم عليه.

ومن مقاصد التشبيه إفادة المبالغة، ولهذا فلّما خلا تشبيه مصيب عن هذا القصد، ولكن ينبغي ألاّ يؤدي الإغراق في المبالغة إلى البعد بين المشبه والمشبه به أو إلى عدم الملاءمة بينهما، وإلاّ أصبح التشبيه قبيحا ويعبر عبد القاهر الجرجاني عن مدى أثر التشبيه في التعبير عن المعاني المختلفة بقوله[3] فإن كان التشبيه مدحا كان أبهى وأفخم وأنبل في النفوس وأعظم، وأهزّ للعطف وأسرع للإلف، وأجلب للفرح وأغلب على الممتدح، وأسير على الألسن وأذكر، وأولى بأن تعلقه القلوب وأبتر. ويرج عبد القاهر تأثير التشبيه في النفس إلى علل وأسباب، فأول ذلك وأظهره أنّ أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفيّ إلى جليّ، وتأتيها بصريح بعد مكنيّ، وأن تردّها في الشيء تعلمها إيّاه إلى شيء آخر هي بشأنه

[1] سورة النبأ، الآية 10.

[2] الأربعون النووية، لمحي الدين النووي، رواه البخاري، ص 44.

[3] أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود شاكر، ط1، مطبعة المدني بالقاهرة ودار المدني بجدة، 1991م، ص 93-96.

أعلم، ثقتها به في المعرفة أحكم، نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس وعمّا يعلم بالفكر إلى ما يعلم به بالاضطرار والطبع، لأن العلم المستفاد من طرق الحواس، يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر.

وسبب آخر من أسباب بلاغة التشبيه وتأثيره في النفس عند عبد القاهر هو التماس شبه للشيء في غير جنسه وشكله، لأنّ التشبيه لا يكون له موقع من السامعين. ولا يهز ولا يحرك حتى يكون الشبه مقررا بين شيئين مختلفين في الجنس كتشبيه العين بالنرجس.

فالتشبيه يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين حتّى يختصر بعدها بينما المشرق والمغرب، وهو يريك للمعاني الممثلة بالأوهام شبها في الأشخاص المائلة والأشباح القائمة، وينطلق لك الأخرى، ويعطيك البيان من العجم، ويريك الحياة في الجماد.

– **أغراض التشبيه:** أغراض التشبيه متنوعة وهي تعود في الغالب إلى المشبه وقد تعود إلى المشبه به، وهذه الأغراض هي:

1– بيان إمكان وجود المشبه: وذلك حين يسند إلى المشبه أمر مستغرب لا تزول غرابته إلاّ بذكر شبيه له.

2– بيان حال المشبه: وذلك حينما يكون المشبه مجهول الصفة غير معروفها قبل التشبيه، فيقيده التشبيه الوصف.

3– بيان مقدار حال المشبه: أي مقدار حاله في القوة والضعف والزيادة والنقصان، وذلك إذا كان المشبه معروف الصفة قبل التشبيه معرفة إجمالية، ثمّ يأتي التشبيه لبيان مقدار هذه الصفة.

4– تقرير حال المشبه: أي تثبيت حاله في نفس السامع وتقويه شأنه لديه، كما إذا كان ماحتا أسند إلى المشبه يحتاج إلى التأكيد والإيضاح بالمثال، وذلك نحو قوله سبحانه

وتعالى: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ١٤﴾ [1]. فالآية الكريمة تتحدث في شأن عبّاد الأوثان الذين يتخذون آلهة غير الله، وتصفهم بأنّهم إذا دعوا آلهتهم لا يستجيبون لهم، ولا يعود عليهم دعاؤهم إيّاهم بالفائدة، وقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يقرر هذه الحال، ويثبتها في الأذهان، فشبّه هؤلاء الوثنيين بمن يبسط كفيه إلى الماء ليشرب فلا يصل الماء إلى فمه بداهة، لأنّه يخرج من خلال أصابعه ما دامت كفاه مبسوطتين، فالغرض من التشبيه هنا تقرير حال المشبه.

5- تزيين المشبه: ويقصد به تحسين المشبه والترغيب فيه عن طريق تشبيهه بشيء حسن الصورة أو المعنى ومثال ذلك قول الشريف الرضي: " سكنت سواد القلب إذا كنت شبهه "، فيشبه حبيبته بحبه القلب السوداء التي هي مناط الحياة في الإنسان، فالغرض من التشبيه هنا تزيين المشبه وبيان أن منزلته في نفس الشاعر منزلة المشبه به.

6- تقبيح المشبه: وذلك إذا كان المشبّه قبيحا قبحا حقيقيّا أو اعتباريا فيؤتى له بمشبه به أقبح منه يولّد في النفس صورة قبيحة عن المشبه تدعو عن التنفير عنه، ففي قول المتنبي :" قردٌ يقهقه أو عجوز تلطم"، والغرض من التشبيه تقبيح المشبه لأنّ قهقهة القرد ولطم العجوز أمران مستكرهان تنفر منها النفس.

- عيوب التشبيه:

لعلّ التشبيه من بين الأساليب البيانية أكثرها دلالة على قدرة البليغ وأصالته في فن القول، وذلك لأنّ التشبيه هو في الواقع ضرب من التصوير لا تتأتى الإجارة أو الإبداع فيه إلاّ لمن توافرت له أدواته، من لفظ ومعنى وصياغة، ومن براعة في تشكيل صور التشبيه على نحو يبّث فيها الحركة ويمنحها الجمال والتأثير ومن أجل ذلك يقال: إنّ التشبيه بين

[1] سورة الرعد ،الآية 14.

ألوان البلاغة ممعن في الرف، كثير الأناقة، شديد الحساسية، رقيق المزاج، وأيّ تهاون فيه يعيبه، ويخرجه من الحسن إلى القبح.

وهذا القبح أنواع كثيرة، منها ما يرجع إلى اللفظ أو المعنى أو الصياغة أو الخيال أو الأصول البلاغية التي يبنى عليها التشبيه ومنها:

– أن يشبّه الشيء بما هو أكبر وأقوى منه، فيشبه الحسن مثلا بالأحسن، والقبيح بالأقبح، والبيّن الواضح بما هو أبين وأوضح منه، وإلاّ كان تشبيها ناقصا.

– ومن بلاغة التشبيه أن يثبت للمشبه حكم من أحكام المشبه به، فإذا لم يكن بهذه الصفة أو كان بين المشبه به بعد فإنّ ذلك ممّا يعيب التشبيه ويضع من قيمته البلاغية. فمثلا تشبيه شقائق النعمان بالثياب المرتوية بالدماء عند أحد الشعراء، قد يكون هذا تشبيها مصيبا ولكن فيه بشاعة ذكر الدّماء، ولو شبه الشقائق مثلا بالعصفر الأحمر اللون أو ما شاكله لكان أوقع في النفوس وأقرب إلى الأنس.

وامرؤ القيس يقول إنّ صاحبته تتناول الأشياء ببنان أو أصابع رخصة ليّنة ناعمة، ثم يشبّه تلك الأنامل بدود الرمل أو المساويك المتخذة من شجر الأسحل، فقد يكون تشبيه البنان بهذا الضرب من الدود مصيبا من جهة الليّن والبياض والطول، والاستواء والدّقة، ولكنّه في الوقت ذاته يحضر إلى الذهن صورة الدود وفي ذلك ما فيه نفور النفس واشمئزازها، ومن هنا يتطرق القبح إلى هذا التشبيه على إصابته[1].

[1] علم البيان، للدكتور عبد العزيز عتيق، ص 105– 139.

بلاغة التشبيه في القرآن الكريم:

إن القرآن استعمل التشبيه ليبين الحقائق العلمية والعملية والمحسوسة والمعقولة وجعله وسيلة لإثباتها وإقامة البرهان لها، وبالتالي تكون أساليب التشبيه في القرآن خير شاهد على ما ادعيناه من عموم نطاقه وشموله المجالات العلمية والأدبية كافة.

فالتشبيه يستخدم أولا كدليل لإثبات الحقائق وثانيا كأداة لإيضاح المعنى المقصود.

فلم يهتم علماء البلاغة في بحثهم عن تشبيهات القرآن إلا بالتشبيهات البيانية، سواء في بحوثهم العامة عن البلاغة، أو فيما خصوه ببلاغة القرآن وتشبيهاته فبالرغم من وصول القارئ إلى غرض تشبيه الآية وبراعاتها وبهائها، إلا أنه لا يمكن قياسها بتشبيهات القرآن ويتبين أن ما في القرآن فريد في نوعه لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن.[1]

[1] مقال في بلاغة التشبيه في القرآن الكريم، د.علي ميرلوجي فلاورجاني، شبكة الفصيح لعلوم اللغة العربية alfaseeh@alfaseeh.com .2005/09/23

الفصل الثاني

دراسة تحليلية لسورة هود

المبحث الأول: بيانات عن الصورة المباركة

- التعريف بالسورة
- سبب التسمية
- سبب النزول
- أغراضها
- خلاصة لكل نبي من الأنبياء
- المعنى الإجمالي لسورة هود

المبحث الثاني: التشبيهات في سورة هود وصفها وتفسيرها

- التشبيهات القرآنية في سورة هود وتحليلها
- لمسات بيانية للسورة المباركة

المبحث الأول: بيانات عن السورة المباركة

1- التعريف بالسورة:

سورة هود مكية وآياتها ثلاثة وعشرون ومائة، هذه السورة مكية بجملتها، من أنّ الآيات [12-17-114] فيها مدنية ذلك أنّ مراجعة هذه الآيات في سياق السورة تلهم أنّها تجيء في موضعها من السياق بحيث لا يكاد يتصور خلو السياق منها بادئ ذي بدء، فضلا على أنّ موضوعاتها التي تقررها هي من صميم الموضوعات المكية المتعلقة بالعقيدة، وموقف مشركي قريش منها، وآثار هذا الموقف في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم، والقلة المسلمة معه، والعلاج القرآني الربّاني لهذه الآثار.

"**فالآيـــة 12**" مـثلا هـذا نصّــها: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾﴾[1]، وواضح أنّ هذا التحدّي وهذا العناد من قريش إلى الحدّ الذي يضيق به صدر رسول الله – صلى الله عليه وسلم–، بحيث يحتاج إلى التسرية عنه، والتثبيت على ما يوحى إليه، إنّما كان في مكّة، وبالذات في الفترة التي تلت وفاة أبي طالب وخديجة، وحادث الإسراء، وجرأة المشركين على رسول الله– صلّى الله عليه وسلم– وتوقف حركة الدعوة تقريبا، وهي من أقسى الفترات التي مرت بها الدعوة في مكّة، والآية 17، هذا نصها: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾.[2]

[1] سورة هود، الآية 12.

[2] سورة هود، الآية 17.

وواضح كذلك أنّها من نوع القرآن المكّي واتّجاهه في مواجهة مشركي قريش بشهادة القرآن للنبيّ – صلى الله عليه وسلم– بأنّه إنّما يوحى إليه من ربّه، وبشهادة الكتب السابقة خاصة كتاب موسى، وبتصديق بعض أهل الكتاب له، واتخاذ هذا قاعدة للتنديد بموقف المشركين، وتهديد الأحزاب منهم بالنّار، مع تثبيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم– على الحق الذي هو معه، وجه توقف الدعوة، وعناد الأكثرية الغالبة في مكّة وما حولها من القبائل، وليس ذكر كتاب موسى بشبهة على مدنية الآية، فهي ليست خطابا لبني إسرائيل ولا تحدّيًا لهم، كما هو العهد في القرآن المدني، ولكنّها استشهاد بموقف تصديق مع بعضهم، وبتصديق كتاب موسى عليه السلام، لّما جاء به محمد – صلّى الله عليه وسلم– وهذا أشبه بالموقف في مكّة في هذه الفترة الحرجة، ومقتضياتها الواضحة.[1]

"والآية 114" واردة في سياق تسرية عن الرسول – صلّى الله عليه وسلّم– بما كان من الاختلاف على موسى من قبل، وتوجيهه للاستقامة كما أمر هو ومن تابَ معه، وعدم الركون إلى الذين ظلموا (أي أشركوا) والاستعانة بالصلاة وبالصبر على مواجهة تلك الفترة العصيبة، وتتوارد الآيات هكذا: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ١١٠ وَإِنَّ كُلّٗا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمۡ رَبُّكَ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١١ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ١١٣ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾

[1] في ظلال القرآن، سيّد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الشرعية الخامسة والثلاثون، 1425هـ–2005م، المجلّد الرابع، الأجزاء 12–18، ص1839.

وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٥﴾ [1] وواضح أنّ الآية قطعة من السياق المكّي، موضوعا وجوّا وعبارة.[2]

2- سبب التسمية:

سميت في جميع المصاحف وكتب التفسير والسنة سورة هود، ولا يعرف لها اسم غير ذلك، وكذلك وردت هذه التسمية عن النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم–، في حديث ابن عبّاس أنّ أبا بكر قال: يا رسول الله قد شبت، قال شيبتني هود، والواقعة، والمرسلات، وعمّ يتساءلون، وإذا الشمس كورت.[3]

وسميت باسم هود لتكرر اسمه فيها خمس مرات، ولأنّ ما حكي عنهُ فيها أطول ممّا حكي عنه في غيرها، ولأنّ عادًا وصفوا فيها بأنّهم قوم هود في قوله سبحانه وتعالى:﴿أَلَا بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ ﴿٦٠﴾﴾ [4]، وقد تقدّم في تسمية سورة يونس وجه آخر للتسمية ينطبق على هذه وهو تمييزها من بين السور ذوات الافتتاح ب« ألر».

وهي مكية كلّها عند الجمهور، وروي ذلك عن ابن عباس وابن الزبير وقتادة إلّا آية واحدة وهي:﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [5]، وقال ابن عطية: هي مكية إلّا ثلاث آيات نزلت بالمدينة، وهي

[1] سورة هود، الآية 110-115.

[2] في ظلال القرآن، سيّد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط35، 1425هـ-2005م، المجلّد 4، ...من 12 إلى 18، ص1840.

[3] حديث صحيح، الراوي، عبد الله بن عباس، المحدث الألباني، المصدر: صحيح الترميذي، الصفحة أو الرقم: 3297.

[4] سورة هود، الآية 60.

[5] سورة هود، الآية 114.

قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾[1]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۚ﴾[2]، قيل نزلت في عبد الله بن سلام، وقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾ [3]، قيل نزلت في قصة أبي النسر كما سيأتي، والأصح أنّها كلّها مكية، وأن ما روي من أسباب النزول في بعض آياتها توهم لاشتباه الاستدلال بها في قصة بأنّها نزلت حينئذٍ كما يأتي، على أنّ الآية الأولى من هذه الثلاث واضح أنّها مكية.[4]

3- سبب النزول:

نزلت هذه السورة بعد سورة يونس وقبل سورة يوسف وقد عدّت الثانية والخمسين في ترتيب نزول السور، ونقل ابن عطيّة في أثناء تفسير هذه السورة أنّها نزلت قبل سورة يونس لأنّ التحدّي فيها وقع بعشر سور وفي سورة يونس وقع التحدّي بسورة، وسيأتي بيان هذا.

وقد عدّت آياتها مائة وإحدى وعشرين في العدد المدني الأخير، وكانت آياتها معدودة في المدني الأول مائة واثنين وعشرين، وهي كذلك في عدد أهل الشام وفي عدد أهل البصرة وأهل الكوفة مائة وثلاث وعشرون.[5]

وهذا يحددّ معالم الفترة التي نزلت فيها، وهي أحرج الفترات وأشقها كما قلنا في تاريخ الدعوة بمكة، فقد سبقها موت أبي طالب وخديجة، وجرأة المشركين على ما لم يكونوا ليجرؤوا عليه في حياة أبي طالب، وخاصة بعد حادث الإسراء وغرابته، واستهزاء المشركين به،

---

[1] سورة هود، الآية 12.

[2] سورة هود، الآية 17.

[3] سورة هود، الآية 114.

[4] التحرير والتنوير، لمحمد الطّاهر ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، المجلّد 5،ج10، دار مصر للطباعة، 1997، ص311-312.

[5] التحرير والتنوير، طاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، دار مصر للطباعة، 1997، ص312.

وارتداد بعض ما كانوا أسلموا قبله، مع وحشة رسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة رضي الله عنها في الوقت الذي تجرأت فيه قريش عليه وعلى دعوته، وبلغت الحرب المعلنة عليه، وعلى دعوته أقسى وأقصى مداها وتجمدت حركة الدعوة حتى ما كاد يدخل في الإسلام أحد من مكة وما حولها، وذلك قبيل أن يفتح الله على رسوله وعلى القلة المسلمة معهُ ببيعة العقبة الأولى ثم الثانية.

ففي هذه الفترة نزلت سورة هود ويونس قبلها، وقبلها سورة الإسراء وسورة الفرقان وكلّها تحمل طابع هذه الفترة وتحدث عن مدى تحدّي قريش وتعديها، وآثار هذه الفترة وجوها وظلالها واضح في جو السورة وظلالها وموضوعاتها، وبخاصة ما يتعلق بتثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذين معه على الحق، والتسرية عنه ممّا يساور قلبه من الوحشة والضيق والغربة في المجتمع الجاهلي.[1]

أغراضها:

ابتدأت بالإيمان إلى التحدّي لمعارضة القرآن بما تومىء إليه الحروف المقطعة في أول السورة وبالتنويه بالقرآن.

وبالنهي عن عبادة غير الله تعالى.

وبأنّ الرسول عليه الصلاة والسلام نذير للمشركين بعذاب يوم عظيم وبشير للمؤمنين بمتاع حسن إلى أجل مسمّى وإثبات الحشر.

- والإعلام بأن الله مطلع على خفايا الناس.

[1] في ظلال القرآن، سيّد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط35، 1425هـ-2005م، المجلّد 4، الأجزاء من 12 إلى 18، ص1840- 1841.

– وأنّ الله مدبّر أمور كلّ حيّ على الأرض.[1]

– وخلق العوالم بعد أن لم تكن.

– وأنّ مرجع الناس إليه، وأنّه ما خلقهم إلّا للجزاء.

– وتثبت النبيّ صلى الله عليه وسلم وتسليته عما يقوله المشركون وما يقترحونه من آيات على وفق هواهم.

– في قوله تعالى: ﴿أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ﴾.[2]

– وأنّ حسبهم آية القرآن الذي تحداهم بمعارضته فعجزوا عن معارضته فتبين خذلانهم فهم أحقاء بالخسارة في الآخرة.

– وضرب مثل لفريقي المؤمنين والمشركين.

– وذكر نظرائهم من الأمم البائدة من قوم نوح وتفصيل ما حلّ بهم وعاد وثمود، وإبراهيم، وقوم لوط ومدين، ورسالة موسى، تعريضا بما في جميع ذلك من العبر وما ينبغي الحذر فإنّ أولئك لم تنفعهم آلهتهم التي يدعونهم وأنّ في تلك الأنباء عظة للمتبعين بسيرهم.

– وأنّ ملاك ضلال الضالين عدم خوفهم عذاب الله سبحانه وتعالى في الآخرة فلا شك في أنّ مشركي العرب صائرون إلى ما صار إليه أولئك.

– وانفردت هذه السورة بتفصيل حادث الطوفان وغيضه.

---

[1] التحرير والتنوير، الطّاهر ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، م 5،الأجزاء من 10 إلى 12، دار مصر للطباعة، 1997، ص312.

[2] سورة هود، الآية 12.

– ثمّ عرض باستئناس النبي صلى الله عليه وسلم وتسليته باختلاف قوم موسى في الكتاب الذي أوتيه، فما على الرسول وأتباعه إلّا أن يستقيم فيما أمره الله وأن لا يركنوا إلى المشركين، وأنّ عليهم بالصلاة والصبر.

– والمعنى في الدّعوة إلى الصلّاح، فإنّه لا هلاك مع الصلاح.

– وقد تخلل ذلك عظات وعبر والأمر بإقامة الصلاة.[1]

4– خلاصة لكل نبي من الأنبياء:

1. قصة نوح (عليه السلام):

ألمحت سورة يونس إلى قصة نوح (عليه السلام)، فذكرت الحلقة الأخيرة منها، وهي غرق الكافرين ونجاة المؤمنين، ولكن سورة هود تعرضت لقصة نوح بمزيد من التفصيل خلال أربع وعشرين آية: (من الآية 25 إلى الآية 49)، تناولت دعوة نوح إلى الله، وجداله مع قومه وصنعه السفينة، وتعرضه لسخرية قومه ثمّ فوران التنور، واكتساح الطوفان، وعود الحياة سيرتها.

أجاب قوم نوح على دعوته بثلاثة اشكالات:

– الأوّل: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾[2] منهم أنّ الرسالة الإلهية ينبغي أن تحملها الملائكة إلى البشر.

[1] التحرير والتنوير، لمحمد الطّاهر ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، المجلّد 5،الجزء من 10 إلى 12، دار مصر للطباعة، 1997، ص313.

[2] سورة هود، الآية 27.

- والإشـــــكال الثـــــاني: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ﴾[1] و«الأراذل» جمع « أرذل» تعني الموجود الحقير، سواءً كان إنسانًا أم شيئًا آخر غيره.

بما أنّ الأنبياء ينهضون للدفاع عن المستضعفين قبل كلّ شيء، فأوّل جماعة يستجيبون لهم ويلبّون دعوتهم هم الجماعة المحرومة والفقيرة، ولكن هؤلاء في نظر المستكبرين الذين يعدّون معيار الشخصية القوة والثروة فحسب يحسبونهم أراذل وحقراء.

- الإشكال الثالث: ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾[2].

وهذه حجج واهية يكررها أقوام الأنبياء في وجههم وردّ الله عليهم على لسان الأنبياء عليهم السلام في العديد من السور.

2. قصة هود (عليه السلام):

فأمّا عاد فكانوا قبيلة تسكن الأحقاف « والحقف كثير الرمل المائل» في جنوب الجزيرة العربية.

وقد ذكرت قصة هود في سورة الأعراف من الآية 65 إلى 72، وفي سورة الشعراء من الآية 123 إلى الآية 140، ثمّ ذكرت هنا في سورة هود من الآية 50 إلى الآية 60.

وتذكر الآيات معارضتهم لهود وإنكارهم عليه، واعتقادهم أنّ آلهتهم أنزلوا به الجنون والاضطراب، فيتبرّأ هود من آلهتهم ويتحدّاهم، وتذكر الآيات خاتمة أمر هود مع قومه، على حسب سنة الله في نصرة أوليائه وخزي أعدائه.

[1] سورة هود، الآية 27.

[2] سورة هود، الآية 27.

3. قصة صالح مع ثمود(عليه السلام):

وتستمر " سورة هود" فتعرض قصة النبيّ صالح مع ثمود، ودعوته لهم إلى دين الله.

وأمّا ثمود، فكانت قبيلة تسكن مدائن الحجر، – بين تبوك والمدينة– وبلغت كلّ منهما في زمانها أقصى القوة والمنعة والرزق والمتاع، ولكن هؤلاء وهؤلاء كانوا ممن حقتّ عليهم كلمة الله، بما عتوا عن أمر الله واختاروا الوثنية على التوحيد وكذّبوا الرسل شرّ تكذيب.

– وقال لهم كما ورد في التنزيل:﴿وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ﴾[1]

– ولكنّهم عقروا الناقة، وعتوا عن أمر ربّهم، فنجّى الله صالحا ومن معه من المؤمنين، وأرسل صيحة عاتية أهلكت الكافرين، فصاروا جثثا هامدة وأصبحت ديارهم خاوية خالية:﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّثَمُودَ ٦٨﴾[2]

4. قصة إبراهيم عليه السلام:

وكان أول من أضاف من الأنبياء، وكان كريما وعنه ورث العرب الكرم، وبشره الملائكة وزوجته:﴿بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١﴾[3] وأخبروه بأنّهم أرسلوا لهلاك قوم لوط.

[1] سورة هود، الآية 64.

[2] سورة هود، الآية 68.

[3] سورة هود، الآية 71.

5. قصة لوط (عليه السلام) مع قومه:

وكانوا يأتون الذكران، فأمر الله لوطا وأهله إلّا امرأته أن يخرجوا من قريتهم، ثمّ أمطر عليها حجارة من سجّيل منضود: ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾[1] والسجيل هو الطّين لقوله سبحانه وتعالى: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾﴾.[2]

6. قصة شعيب (عليه السلام) مع قوم مدين:

ولمّا جاء أمره بهلاكهم نجّى شعيبًا ومن آمن به، وأخذت الكافرين الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾.[3]

7. قصة موسى (عليه السلام) مع آل فرعون:

ذكر أنّه أرسل موسى إلى فرعون وقومه وقد مضت قصتهم في سورة يونس، ولكنّه لم يفصّلها هنا كما فصلّها هناك، وإنّما ذكر الله سبحانه وتعالى أنّهم خالفوه واتبّعوا أمر فرعون، فأوردهم النّار، وبئس الورد المورود.

ونهايات القصص كلّها هلاك المكّذبين وعقوبة المعتدين، ووعيد لجميع المتكبرين عن الإيمان بالحق، والانقياد للعقيدة الصحيحة قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾[4]، ثمّ يختم القصص في سورة هود بقوله سبحانه

[1] سورة هود، الآية 83.

[2] سورة الذاريات، الآية 33.

[3] سورة هود، الآية 95.

[4] سورة هود، الآية 102.

وتعـــالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾[1].

وتمتلئ هذه القصص بتفاصيل لا يوجد مثلها في كتب الأقدمين، بل إنّ أنبياء كشعيب وصالح وهود لا وجود لهم في البتة، لا في كتب اليهود، ولا في كتب النصارى، حتى أنّ المستشرقين يعجبون ما كانت مصادر محمد النبيّ صلّى الله عليه وسلم التي استعان بها وعرف منها قصصهم.[2]

5- المعنى الإجمالي لسورة هود:

تضمنت سورة هود ما تضمنته غيرها من أصول الإسلام، وهي التوحيد والنبوة والبعث والحساب والجزاء.

- فقد نزلت سورة هود ويونس قبلها، وقبلهما سورة الإسراء وسورة الفرقان، وكلّها تحمل طابع هذه الفترة، وتحدث عن مدى تحدّي قريش وتعديها وآثار هذه الفترة وجوها وظلالها واضحة في جو السورة وظلالها وموضوعاتها، وبخاصة ما يتعلق بتثبيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين معه على الحق، والتسرية عنه ممّا يساور قلبه من الوحشة والضيق والغربة في المجتمع الجاهلي.

- وقد برز طابع هذه الفترة ومقتضياتها في السورة في سمات عدّة نشير إلى بعض منها:

- فمن ذلك استعراض السورة لحركة العقيدة الإسلامية في التاريخ البشري كلّه، من لدن نوح - عليه السلام- إلى عهد محمد عليه الصلاة والسلام، وتقرير أنّها قامت على حقائق

[1] سورة هود، الآية 120.

[2] سورة هود ومسار النبوة والأنبياء، الشيخ سمير رحال، مجلّة اللقاء، هيئة علماء بيروت، العدد 31، بتاريخ 2017/12/25، www.allikaa.net.

أساسية واحدة هي: الدينونة والعبودية عن رسل الله وحدهم على مدار التاريخ مع الاعتقاد بأنّ الحياة الدنيا إنّما هي دار ابتلاء لا دار جزاء، وأنّ الجزاء إنّما يكون في الآخرة، وأنّ حرية الاختبار التي أعطاها الله للإنسان ليختار الهدى أو الضلال هي مناط هذا الابتلاء.

- ولقد جاء محمد صلى الله عليه وسلم ومعه ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾.[1]

أمّا مضمون هذا الكتاب الأساسي، فهو:

﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ٢ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ٣ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤﴾[2]

ولكن هذه لم تكن دعوة مبتدعة ولا قولا غير مسبوق، لقد قالها من قبل نوح وهود وصالح وشعيب وموسى وغيرهم.

- ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢٥ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ٢٦﴾[3]

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ﴾[4]

[1] سورة هود، الآية 1.

[2] سورة هود، الآية 2-4.

[3] سورة هود، الآية 25-26.

[4] سورة هود، الآية 50.

﴿۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [1]

﴿۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [2]

فكلّهم إذن قال هذه الكلمة الواحدة ودعا بهذه الدعوة الثابتة.

ومن ذلك عرض مواقف الرسل – صلوات الله وسلامه عليهم– وهم يتلقون الإعراض والتكذيب، والسخرية والاستهزاء، والتهديد والإيذاء، بالصبر والثقة واليقين بما معهم من الحق، وفي نصر الله الذي لا شك آت، ثمّ تصديق العواقب في الدنيا – وفي الآخرة كذلك– لظنّ الرسل الكرام بوليهم القادر العظيم، بالتدبير على المكذبين، وبالنجاة للمؤمنين:

– ففي قصة نوح نجد هذا المشهد:

﴿قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [3]

ثم يجيء مشهد الطوفان وهلاك المكذبين ونجاة المؤمنين.

[1] سورة هود، الآية 61.

[2] سورة هود، الآية 84.

[3] سورة هود، الآية 32–33.

- وفي قصة هود نجد هذا المشهد:

﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ۗ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِ ۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾﴾[1]

- ثم تجيء العاقبة:

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾﴾[2]

وفي قصة صالح نجد هذا المشهد:

﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا ۖ أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾﴾[3]

[1] سورة هود، الآية 53-55.

[2] سورة هود، الآية 58-60.

[3] سورة هود، الآية 62.

- ثمّ تجيء العاقبة بعد عقر الناقة والتكذيب:

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ ﴿٦٨﴾﴾[1]

- وفي قصة شعيب نجد هذا المشهد:

﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾﴾[2]

- ثمّ تجيء الخاتمة:

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾[3]

ومن ذلك التعقيب على هذا القصص بتوجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى دلالته: والتسرية عنه بما أصاب إخوانه الكرام قبله، وبما أولاهم الله من رعايته ونصره، وتوجيهه صلى الله عليه وسلم إلى مفاصلة المكذبين من قومه كما فاصل الرسل الكرام أقوامهم على الحق الذي أرسلوا به، وذلك إلى التنويه بدلالة هذا القصص ذاته على صدق دعواه في الوحي والرسالة.

---

[1] سورة هود، الآية 66-68.

[2] سورة هود، الآية 91.

[3] سورة هود، الآية 94-95.

– فبعد نهاية قصة نوح نجد هذا التعقيب:

﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَاصْبِرْ ۖ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾[1]

– وفي نهاية القصص الوارد في السورة نجد هذا التعقيب الطويل إلى ختام السورة:

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾[2].

سورة هود القصص فيها هو جسم السورة، وهو إن جاء شاهدًا ومثالا لتصديق الحقائق الاعتقادية التي تستهدفها، إلّا أنّه يبدو فيه أن استعراض حركة العقيدة الربانية في التاريخ البشري هو الهدف الواضح البارز.

لذلك نجد تركيب السورة يحتوي على ثلاثة قطاعات متميزة:

القطاع الأول: يتضمن حقائق العقيدة في مقدمة السورة ويشغل حيّزا محدودا.
والقطاع الثاني: يتضمن حركة هذه الحقيقة في التاريخ ويشغل معظم سياق السورة.
والقطاع الثالث: يتضمن التعقيب على هذه الحركة في حيّز كذلك محدود.

وفي سبيل إنشاء الحقائق الاعتقادية في الضمائر، وتثبيتها في النفوس، وتعميقها في الكيان البشري، وبث الحياة النابضة الدافعة فيها بحيث تستحيل قوة إيجابية موجبة، مكيفة للمشاعر والتصورات والأعمال والحركات في سبيل إنشاء تلك الحقائق على هذا النحو وفي هذا المستوى يحتوي سياق السورة على شتى المؤثرات الموجبة والإيقاعات التي تلمس أوتار الكيان البشري كلّها، وهو يعرض هذه الحقائق ويفصلها.

[1] سورة هود، الآية 49.

[2] سورة هود، الآية 120.

يحتوي الكثير من الترغيب والترهيب. الترغيب في خير الدنيا والآخرة لمن يستجيب لداعي الدينونة لله وحده بلا شريك:

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٌ ۝٢ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٖ فَضْلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٖ كَبِيرٍ ۝٣﴾[1].

﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارٗا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ۝٥٢﴾[2]

ويحتوي السياق ذلك القصص الطويل الذي يصدق الترغيب والترهيب في حركة العقيدة على مدار التاريخ، من مصارع المكذبين ونجاة المؤمنين، على النحو الذي سبق في بعض المقتطفات، ويبرز مشهد الطوفان بصفة خاصة، ويبلغ نبض السورة أعلى مستواه في ثنايا هذا المشهد الكوني الفريد:

﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ۝٣٦ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ۝٣٧ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٞ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُۚ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ۝٣٨ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٞ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ۝٣٩ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٖ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ۝٤٠ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٤١ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٖ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعْزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٤٢ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعْصِمُنِي مِنَ

[1] سورة هود، الآية 2-3.

[2] سورة هود، الآية 52.

ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾.[1]

ويحتوي بعض صور النفس البشرية في مواجهة الأحداث الجارية بالنعماء والبأساء: فيرفع للمكذبين المستعجلين بالعذاب، المتحدين للنذر في استهتار.

يرفع لهم صورًا لأنفسهم وهم في مواجهة ما يستعجلون به حين يحلّ بهم: وفي الحسرات التي تهيب أنفسهم على تقلب الأحداث بهم، وفوت النعمة وإفلاتها، من أيديهم، وفي البطر والغرور والانخداع بكشف الضر وفيض النعمة من جديد: ﴿وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٖ مَّعۡدُودَةٖ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحۡبِسُهُۥٓۗ أَلَا يَوۡمَ يَأۡتِيهِمۡ لَيۡسَ مَصۡرُوفًا عَنۡهُمۡ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٨﴾ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ ﴿٩﴾ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ بَعۡدَ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١١﴾﴾ [2].

ويحتوي شيئا من مشاهد القيامة، وصور المكذبين فيها، ومواجهتهم لربّهم الذي كذبوا بوجيه وتولوا عن رسله، وما يجدونه يومئذ من خزي، لا ينصرهم منه أرباب ولا شفعاء.[3]

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٖ مَّعۡدُودٖ ﴿١٠٤﴾ يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ

[1] سورة هود، الآية 36-44.

[2] سورة هود، الآية 8-11.

[3] خواطر قرآنية لعمرو خالد، المعنى العام لسور القرآن الكريم من تفسير ظلال القرآن، بتصرف، 06 أوت 2012.

رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ﴿١٠٨﴾[1]

[1] سورة هود، الآية 103-108.

المبحث الثاني: التشبيهات في سورة هود وصفها وتفسيرها

التشبيهات القرآنية في سورة هود وتحليلها:

وعددها أحد عشرة تشبيها:

- الآية الأولى: قال الله سبحانه. وتعالى:

﴿مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٢٤﴾[1]

- وصف التشبيه وتحليله:

- المشبه: الكفار والمؤمنون.

- المشبه به: الأعمى والأصم، والبصير والسميع.

- أداة التشبيه: الكاف.

- وجه الشبه: استفادتهم من الحق المسموع والمنظور وعدمها.

- نوع التشبيه: تشبيهان مفرقان كل منهما مرسل مفصل.[2]

- غرض التشبيه: تزيين وتقبيح المشبه، (التزيين للمؤمنين والتقبيح للكافرين).

[1] سورة هود، الآية 24.

[2] معجم الأساليب البلاغية في القرآن الكريم، لمخيمر صالح، دار الكتاب الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، 2004، ص231.

● تفسير الآية:

بعد أن تبين الاختلاف بين حال المشركين المفترين على الله كذبا وبيّن حال الذين آمنوا وعملوا الصالحات في منازل الآخرة أعقب ببيان التنظير بين حالي الفريقين المشركين والمؤمنين بطريقة تمثيل ما تستحقه من ذم ومدح.

فالجملة فذلكة للكلام وتحصيل له وللتحذير من مواقعة سببه.

والمثل، بالتحريك: الحالة والصفة.

أي حالة الفريقين المشركين والمؤمنين تشبه حال الأعمى الأصم من جهة وحال البصير السميع من الجهة الأخرى، فالكلام تشبيه وليس استعارة لوجود كاف التشبيه وهو أيضا تشبيه مفرد لا مركب.

والفريقان هما المعهودان في الذكر في هذا الكلام، وهما فريق المشركين وفريق المؤمنين والفريق هو الجماعة التي تفارق، أي يخالف حالها حال جماعة أخرى في عمل، وشبّه حال فريق الكفار في عدم الانتفاع بالنظر في دلائل وحدانية الله الواضحة من مخلوقاته بحال الأعمى، وشبهوا في عدم الانتفاع بأدّلة القرآن بحال من هو أصم، وشبّه حال فريق المؤمنين في ضدّ ذلك بحال من كان سليم البصر، سليم السمع فهو في هدى ويقين من مدركاته.

وترتيب الحالين المشبه بهما في الذكر على ترتيب ذكر الفريقين فيما تقدّم بنبي بالمراد من كلّ فريق على طريقة النشر المرتب، والترتيب في اللّف والنشر هو الأصل والغالب وقد علم أنّ المشبهين بالأعمى والأصم هم الفريق المقول فيهم ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾[1]، والواو في قوله « والأصم» تعطف على الأعمّى»، عطف أحد

[1] سورة هود، الآية 20.

المشبهين على الآخر، وكذلك الواو في قوله « والسميع» للعطف على « البصير»، وأمّا الواو في قوله « والبصير» فهي لعطف التشبيه الثاني على الأوّل، وهو النشر بعد اللّف، فهي لعطف أحد الفريقين على الآخر، والعطف بها للتقسيم والقرينة واضحة.

والوجه عندي في الداعي إلى عطف صفة « الأصم» على صفة « الأعمى» أنّه ملحوظ فيه أنّ لفريق الكفار حالين كلّ حال منهما جدير بتشبيهه بصفة من تلك الصفتين على حدة، فهم يشبهون الأعمى في عدم الاهتداء إلى الدلائل التي طريق إدراكها البصر، ويشبهون الأصم في عدم فهم المواعظ النافعة التي طريق فهمها السمع، فهم في حالتين كل حال منهما مشبه به، ففي قوله تعالى ﴿۞كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ﴾ تشبيهان مفرقان.

والذي في الآية تشبيه معقولين بمحسوسين، واعتبار كل حال من حالي فريق الكفار لا محيد عنه لأنّ حصول أحد الحالين كاف في جرّ الضلال إليهم، إذْ المشبه بهما أمر عدمي فهو في قوّة المنفي، وأمّا الداعي إلى العطف في صفتي (البصير والسميع) بالنسبة لحال فريق المؤمنين فبخلاف ما قررنا في حال فريق الكافرين لأن حال المؤمنين تشبه حالة مجموع صفتي (البصير والسميع)، إذ الاهتداء يحصل بمجموع الصفتين فلو ثبتت إحدى الصفتين وانتفت الأخرى لم يحصل الاهتداء إذ الأمران المشبه بهما أمران وجوديان، فهما في قوّة الإثبات، فتعين أن الكون الداعي إلى عطف (السميع) على (البصير) في تشبيه حال فريق المؤمنين هو المزاوجة في العبارة لتكون العبارة عن حال المؤمنين مماثلة للعبارة عن حال الكافرين في سياق الكلام، والمزاوجة من محسنات الكلام ومرجعها إلى فصاحته.

وجملة ﴿۞هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ﴾ واقعة موقع البيان للفرض من التشبيه وهو نفى استواء حالهما، ونفى الاستواء كناية عن التفضيل والمفضل منهما معلوم من المقام أي معلوم تفضيل الفريق الممثل بالسميع والبصير على الفريق الممثل بالأعمى والأصم والاستفهام إنكاري.

وانتصب « مثلا» على التمييز، أي من جهة حالهما، والمثل: الحال، والمقصود تنبيه المشركين لما هم فيه من الضلالة لعلهم يتداركون أمرهم فلذلك فرع عليه بإلغاء جملة ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾، والهمزة استفهام وإنكار انتفاء بذكرهم واستمرارهم في ضلالهم وقرأ الجمهور ﴿تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾بتشديد الذال وأصله تتذكرون، فقلب التاء دالا لقرب مخرجهما وليأتي الإدغام تخفيفا، وفي مقابلة (الأعمى والأصم) ب (البصير والسميع) محسن الطباق.[1]

● الآية الثانية: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾[2].

تحليل التشبيه:

- المشبه: سخرية نوح عليه السلام والمؤمنين.

- المشبه به: سخرية المشركين.

- أداة التشبيه: الكاف.

- وجه الشبه: سبب السخرية وهو اعتقاد كل فريق جهل الآخر، ولا سواء.

- نوع التشبيه: تشبيه تمثيلي في قوله عز وجل: ﴿نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

- غرض التشبيه: بيان إمكان المشبه.

[1] التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، دار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، م5، ج8، 1984هـ، ص40-43.

[2] سورة هود، الآية 38-39.

● تفسير الآية الكريمة:

ويصنع الفلك حكاية حال ماضية سخروا منه ومن عمله السفينة، وكان يعملها في برية بهماء في أبعد موضع من الماء، وفي وقت عزّ الماء فيه عزة شديدة، فكانوا يتضاحكون ويقولون له: يا نوح، صرت نجارًا بعدما كنت نبيّا فإنّا نسخر منكم، يعني في المستقبل كما تسخرون منا الساعة، أي نسخر منكم سخرية مثل سخريتكم إذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة، وقيل إن تستجهلونا فيما نصنع فإنّا نستجهلكم فيما أنتم عليه من الكفر والتعرض لسخط الله وعذابه، فأنتم أولى بالاستجهال منّا، أو إن تستجهولنا فإنّا نستجهلكم في استجهالكم لأنّكم لا تستجهلون إلّا عن جهل بحقيقة الأمر، وبناءً على ظاهر الحال كما هو عادة الجهلة في البعد عن الحقائق، وروي أنّ نوحا عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين وكان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعًا، وطولها في السماء ثلاثون ذراعًا، وكان من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون أي ثلاث طبقات.

طبقة للدواب والوحوش، وطبقة للإنس، وطبقة للطير.[1]

وجملة ﴿ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا﴾ حكاية لما يجيب به سخريتهم، أجريت على طريقة فعل القول إذ وقع في سياق المحاورة، لأنّ جملة« سخروا» تتضمن أقوالا تنبني عن سخريتهم أو تبين عن كلام في نفوسهم، وجمع الضمير في قوله « منّا» يشير إلى أنهم يسخرون منه في عمل السفينة ومن الذين آمنوا به إذ كانوا حوله واثقين بأنّه يعمل عملا عظيما، وكذلك جمعه في قوله ﴿فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ﴾، والسخرية بمعنى الاستهزاء، وهو تعجب باحتقار واستحماق، وسخريتهم منه حمل فعله على العبث بناءً على اعتقادهم أن ما يصنعه لا يأتي بتصديق مدعاه.

[1] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، دار الكتاب العربي، ط3، ج2، 1407هـ، بيروت، ص393.

وسخرية نوح عليه السلام والمؤمنين من الكافرين من سفه عقولهم وجهلهم بالله وصفاته، فالسخريتان مقترنتان في الزمن.

وبذلك يتضح وجه الشبه في قوله﴿كَمَا تَسۡخَرُونَ ۝٣٨﴾ فهو تشبيه في السبب الباعث على السخرية، وإن كان بين السببين.

ويجوز أن تجعل كاف التشبيه مفيدة معنى التحليل، فيفيد التفاوت بين السخريتين، لأنّ السخرية المعللة أحق من الأخرى، فالكفار سخروا من نوح عليه السلام لعمل يجهلون غايته، ونوح عليه السلام وأتباعه سخروا من الكفار لعلمهم بأنّهم جاهلون في غرور، كما دلّ عليه قوله ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ﴾ فهو تفريع على جملة ﴿فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ﴾ أي سيظهر من هو الأحق بأن نسخر منه.

والخزي: الإهانة.

والعذاب المقيم: عذاب الآخرة الخالد، و" من" استفهامية معلقة لفعل العلم عن العمل، وحلول العذاب: حصوله، شبه الحصول بحلول القادم إلى المكان وهو إطلاق شائع حتى يساوي الحقيقة.[1]

- الآية الثالثة: قال الله سبحانه وتعالى:﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٤٢﴾[2]

- تحليل التشبيه:

المشبه: وهو الموج.

[1] التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، ج10، ص68-69.

[2] سورة هود، الآية 42.

المشبه به: الجبال.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الارتفاع والعظمة.

نوع التشبيه: مرسل مفصل[1] (ذكرت الأداة ووجه الشبه لم يذكر).

غرض التشبيه: بيان حال المشبه.

- تفسير الآية:

فإن قلت: بم اتصل قوله وهي تجري بهم؟، قلت: بمحذوف دلّ عليه اركبوا فيها باسم الله كأنّه قيل: فركبوا فيها يقولون: بسم الله، وهي تجري بهم أي تجري وهم فيها في موج كالجبال يريد موج الطوفان، شبه كلّ موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها، فإن قلت:

الموج: ما يرتفع فوق الماء عند اضطرابه وزخيره، وكان الماء قد التقى وطبق بين ما بين السماء والأرض، وكانت الفلك تجري في جوف الماء كما تسبح السمكة[2] وعطفت جملة«ونادى» على أعلق الجمل بها اتصالا وهي « وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا » لأنّ نداءه ابنه كان قبل جريان السفينة في موج كالجبال إذ يتعذر إيقافها بعد جريها لأنّ الراكبين كلهم كانوا مستقرين في جوف السفينة، وجملة « وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ » حال من « ابنه» والمعزل هو مكان العزلة أي الانفراد، أي في معزل عن المؤمنين إمّا لأنّه كان لم يؤمن بنوح عليه السلام فلم يصدق بوقوع الطوفان، وإمّا لأنّه ارتد فأنكر وقوع الطوفان فكفر بذلك لتكذيبه الرسول.

وجملة ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾ بيان الجملة﴿وَنَادَىٰ﴾ وهي إرشاد ورفق به.

[1]معجم الأساليب البلاغية في القرآن الكريم، لمخيمر صالح، ج1، ص231

[2]الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل، الزمخشري، دار الكتاب العربي، ط3، ج2، 1407هـ، بيروت، ص396.

وأمّا جملة ﴿وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٦﴾ فهي معطوفة على جملة « ارْكَبْ مَعَنَا» لإعلامه بأن إعراضه عن الركوب بجعله في صف الكفار إذ لا يكون إعراضه عن الركوب إلّا أثرا لتكذيبه بوقوع الطوفان، فقول نوح عليه السلام له ﴿ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾ كناية عن دعوته إلى الإيمان بطريقة العرض والتحذير.[1]

● الآية الرابعة: قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ٧٨﴾[2]

● تحليل التشبيه:

- المشبه: نساء قوم لوط عليه السلام.

- المشبه به: بناته [لوط عليه السلام].

- أداة التشبيه: محذوفة.

- وجه الشبه: في الأبوة والتصرف.

- نوع التشبيه: بليغ في قوله سبحانه وتعالى: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ﴾[3].

- غرض التشبيه: تزيين المشبه.

[1] التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور، ج10، ص75-76.

[2] سورة هود، الآية 78.

[3] سورة هود، الآية 78.

- تفسير الآية:

يُهرعون يسرعون كأنما يدفعون دفعا ومن قبل كانوا يعملون السيئات ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش ويكثرونها، فضروا بها ومرنوا عليها وقلّ عنهم استقباحها، فلذلك جاءوا يهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء، وقيل معناه: وقد عرف لوط عادتهم في عمل الفواحش قبل ذلك هؤلاء بناتي أراد أن يقي أضيافه ببناته، وذلك غاية الكرم، وأراد: هؤلاء بناتي فتزوّجهنّ وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزا، كما زوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتيه من عتبة بن أبي لهب وأبي العاص بن وائل قبل الوحي وهما كافران.[1]

و﴿ يُهْرَعُونَ ﴾ بضم الياء على صيغة المبني للمفعول فسرّوه بالمشي الشبيه بمشي المدفوع، وهو بين الخبث والجمز، فهو لا يكون إلّا مبنيا للمفعول لأنّ أصله مشي الأسير الذي يسرع به، فجملة " يُهرعون" حال.

وقد طوى القرآن ذكر الغرض الذي جاؤوا لأجله مع الإشارة إليه بقوله ﴿وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ فقد صارت لهم دأبا لا يسعون إلا لأجله وجملة ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ﴾الخ مستأنفة استئنافا بيانيا ناشئا عن جملة﴿وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ﴾، إذ قد علم السامع غرضهم من مجيئهم، فهو بحيث يسأل عما تلقاهم به، وبادرهم لوط عليه السلام بقوله ﴿يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡ﴾.

وافتتاح الكلام بالنداء وبأنّهم قومه ترقيق لنفوسهم عليه، لأنّه يعلم تصلبهم في عادتهم، وبناتي بدل من اسم الإشارة، والإشارة مستعملة في الغرض والتقدير: فخذوهن وجملة ﴿هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡ﴾ تعليل للعرض، ومعنى ﴿هُنَّ أَطۡهَرُ﴾ أنهنّ حلال لكم يحلن بينكم وبين

[1] الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل، الزمخشري، دار الكتاب العربي، ط3، ج2، 1407هـ، بيروت، ص413.

الفاحشة، فاسم التفضيل مسلوب المفاضلة قصد به قوة الطهارة و" هؤلاء" إشارة إلى جمع، إذ بين بقوله ﴿بَنَاتِي﴾.

وقد روي أنّه لم يكن له إلّا ابنتان، فالظاهر أنّ إطلاق البنات هنا من قبيل التشبيه البليغ، أي هؤلاء نساؤهنّ كبناتي، وأراد نساء من قومه بعدد القوم الذين جاؤوا يهرعون إليه، وفرع على قوله ﴿هُنَّ أَطْهَرُ﴾ أن أمرهم بتقوى الله لأنّهم إذا امتثلوا ما عرض لهم من النساء فاتقوا الله.

وقرأ الجمهور ﴿وَلَا تُخْزُونِ﴾ بحذف ياء المتكلم تخفيفا، والخزي هو الإهانة والمذلة، و"في" للظرفية المجازية، جعل الضيف كالظرف، أي لا تجعلوني مخزيا عند ضيفي، والضيف: الضائف أي النازل في منزل أحد نزولا غير دائم، لأجل مرور في سفر أو إجابة دعوة، والاستفهام في ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾﴾ إنكار وتوبيخ لأنّ إهانة الضيف مسبة لا يفعلها إلّا أهل السفاهة.

وقوله « منكم» بمعنى بعضكم أنكر عليهم تمالؤهم على الباطل وانعدام رجل رشيد من بينهم، وهذا إغراء لهم على التعقل ليظهر فيهم من يتفطن إلى فساد ما هم فيه فينهاهم، فظهور الرشيد في الفئة الضالة يفتح باب الرشاد لهم.[1]

• الآية الخامسة: قال الله سبحانه وتعالى:﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾».[2]

[1] التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج10، ص126-129.

[2] سورة هود، الآية 82-83.

- تحليل التشبيه:

- المشبه: حجارة العذاب.

- المشبه به: حجارة سجيل من جهنم.

- أداة التشبيه: محذوفة.

- وجه الشبه: قوتها وحرارتها.

- نوع التشبيه: تشبيه بليغ.

- غرض التشبيه: لتقبيح المشبه.

- تفسير الآية:

تقدم الكلام على نظير ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾.

وقوله ﴿جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ تعود الضمائر الثلاثة المجرورة بالإضافة وبحرف « على » على القرية المفهومة من السياق، والمعنى أنّ القرية انقلبت عليهم انقلاب خسف حتى صار عالي البيوت سافلا أي وسافلها عاليا، وذلك من انقلاب الأرض بهم.

والسِجّيل: فسر بواد نار في جهنم يقال: سجيل باللام، وسجين بالنون، و« من» تبعيضية، وهو تشبيه بليغ، أي بحجارة كأنّها من سجيل جهنّم.

وقيل: سجيل معرب أي حجر مخلوط بطين.

والمنضود: الموضوع بعضه على بعض، والمعنى هنا أنّها متتابعة متتالية في النزول ليس بينها فترة، والمراد وصف الحجارة بذلك إلّا أنّ الحجارة لما جعلت من سجيل أجري الوصف على سجيل وهو يفضي إلى وصف الحجارة لأنّها منه.

والمسوّمة: التي لها سيما وهي العلامة، والعلامات توضع لأغراض، منها عدم الاشتباه، ومنها سهولة الإحضار، وهو هنا مكنى به عن المعدة المهيأة لأنّ الإعداد من لوازم التوسيم بقرينة قوله « عند ربك» لأنّ تسويمها عند الله هو تقديره إياها لهم، وضمير « وما هي » يصلح لأن يعود إلى ما عادت إليه الضمائر المجرورة قبله وهي المدينة، فيكون المعنى وما تلك القرية ببعيد عن المشركين، أي العرب فمن شاء فليذهب إليها فينظر مصيرها، فالمراد البعد المكاني، ويصلح لأن يعود إلى حجارة، أي وما تلك الحجارة ببعيد، أي أنّ الله سبحانه وتعالى قادر على أن يرمي المشركين بمثلها.

والبعد بمعنى تعذر الحصول ونفيه بإمكان حصوله، وهذا من الكلام الموجه مع صحة المعنيين وهو بعيد.[1]

وفي قوله تعالى ﴿جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ جعل جبريل جناحه في أسفلها، ثمّ رفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة، ثم قلبها عليهم وأتبعوا الحجارة من فوقهم من سجّيل قيل هي كلمة معربة من سنككل، بدليل قوله حجارة من طين، وقيل هي من أشجلة، إذا أرسله لأنّها ترسل على الظالمين، ويدل عليه قوله «لنرسل عليهم حجارة» وقيل: مما كتب الله أنّ يعذب به من السجل، وسجل لفلان منضود، نِضَدٍ في السماء نضدًا معدًا للعذاب، وقيل يرسل بعضه في أثر بعض متتابعا مسومة معلمة للعذاب وعن

[1] التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج10، ص134-135.

الحسن كانت معلمة ببياض وحمرة، وقيل عليها سيما يعلم بها أنّها ليست من حجارة الأرض، وقيل: مكتوب على كلّ واحد اسم من يرمي به وما هي من كل ظالم ببعيد.[1]

- الآية السادسة: قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨﴾[2].

- تحليل التشبيه:

- المشبه: النبوّة.

- المشبه به: المال.

- أداة التشبيه: محذوفة.

- وجه الشبه: الحسن والخيرية والكمال لأنّه من الله تعالى.

- نوع التشبيه: تشبيه بليغ وذلك في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ﴾.

- غرض التشبيه: بيان إمكان المشبه.

- تفسير الآية:

ورزقني منه أي من لدنه رزقًا حسنًا وهو ما رزقه من النبوة والحكمة، وقيل رزقًا حسنًا حلالًا طيبًا من غير بخس ولا تطفيف، فإن قلت: أين جواب أَرَأَيتم وماله لم يثبت كما أثبت في قصة نوح ولوط؟ قلت: جوابه محذوف، وإنّما لم يثبت لأنّ إثباته في القصتين دلّ على

[1] الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل، الزمخشري، دار الكتاب العربي، ط3، ج2، 1407هـ، بيروت، ص416.

[2] سورة هود، الآية 88.

مكانه، ومعنى الكلام ينادى عليه، والمعنى أخبروني إن كنت على حجة واضحة ويقين من ربّي وكنت نبيّا على الحقيقة، أيصح لي أن لا آمركم بترك عبادة الأوثان والكفّ عن المعاصي؟ والأنبياء لا يبعثون إلّا لذلك، ويقال خالفني فلان إلى كذا: إذا قصده وأنت موّل عنه وخالفني عنه إذا ولى عنه وأنت قاصده، ويلقاك الرجل صادرًا عن الماء فتسأله عن صاحبه؟ فيقول: خالفني إلى الماء، يريد أنّه قد ذهب إليه واردًا وأنا ذاهب عنه صادرًا، ومنه قوله سبحانه وتعالى:﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ﴾يعني أن أسبقكم إلى شهواتكم التي نهيتكم عنها، لأستبدّ بها دونكم إن أريدُ إلّا الإصلاح ما أريد إلّا أن أصلحكم بموعظتي ونصيحتي وأمري بالمعروف ونهي عن المنكر ما استطعت ظرف، أي مدة استطاعتي للإصلاح أي ما أريدُ إلّا أن أصلح ما استطعت إصلاحه من فاسدكم وما توفيقي إلّا بالله تعالى وما كوني موفقا لإصابة الحق فيما أتى، ووقوعه موافقا لرضا الله، إلّا بمعونته وتأييده والمعنى أنّه استوفق ربّه في إمضاء الأمر على سننه، وطلب منه التأييد والإظهار على عدوّه، وفي ضمنه تهديد للكفار وحسم لأطماعهم فيه.[1]

وقد تقدم نظير الآية في قصة نوح وقصة صالح عليهما السلام.

والمراد بالرزق الحسن هنا مثل المراد من الرحمة في كلام نوح وكلام صالح عليهما السلام وهو نعمة النبوءة، وإنّما عبّر شعيب عليه السلام عن النبوة بالرزق على وجه التشبه مشاكلة لقولهم:﴿أَوَأَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ﴾لأنّ الأموال أرزاق، وجواب الشرط محذوف يدل عليه سياق الكلام، أو يدل عليه ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي﴾ والتقدير: ماذا يسعكم في تكذيب وماذا ينجيكم من عاقبة تكذيبي، وهو تحذير لهم على فرض احتمال أن يكون صادقًا، أي فالحزم أن تأخذوا بهذا الاحتمال، أو فالحزم أن تنظروا في كنه ما نهيتكم عنه لتعلموا أنه لصلاحكم، ومعنى ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ﴾عند جميع المفسرين من

[1]الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل، الزمخشري، ج2، ص420.

التابعين فمن بعدهم: ما أريد مما نهيتكم عنه أن أمنحكم أفعالا وأنا أفعلها، أي لم أكن لأنهاكم عن شيء وأنا أفعله، أي المخالفة تدل على الاتصاف بضدّ حاله، وقوله ﴿أَنۡأُخَالِفَكُمۡإِلَىٰ مَآأَنۡهَىٰكُمۡعَنۡهُۚ﴾، أي أن أفعل خلاف الأفعال التي نهيتكم عنها بأن أصرفكم عنها وأنا أصير إليها، وجملة ﴿إِنۡأُرِيدُإِلَّاٱلۡإِصۡلَٰحَمَااسۡتَطَعۡتُۚ﴾ بيان لجملة ﴿وَمَآأُرِيدُأَنۡأُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآأَنۡهَىٰكُمۡعَنۡهُۚ﴾ لأن انتفاء إرادة المخالفة إلى ما نهاهم عنه مجمل فيما يريد إثباته من أضداد المنفي فبينه بأنّ الضدّ المراد إثباته هو الإصلاح في جميع أوقات استطاعته بتحصيل الإصلاح، فالقصر قصر قلب، والتوفيق هو جعل الشيء وفقا لآخر، أي طبقا له، ولذلك عرفوه بأنّه خلق القدرة والداعية إلى الطاعة وجملة ﴿عَلَيۡهِتَوَكَّلۡتُ﴾ في موضع الحال من اسم الجلالة، أو من ياء المتكلم في قوله سبحانه وتعالى ﴿تَوۡفِيقِيٓ﴾ لأنّ المضاف هنا كالجزء من المضاف إليه فيسوغ مجيء الحال من المضاف إليه.

- الآية السابعة: قال الله سبحانه وتعالى:﴿وَلَمَّاجَآءَأَمۡرُنَانَجَّيۡنَاشُعَيۡبٗاوَٱلَّذِينَءَامَنُواْ مَعَهُۥبِرَحۡمَةٖمِّنَّاوَأَخَذَتِٱلَّذِينَظَلَمُواْٱلصَّيۡحَةُفَأَصۡبَحُواْفِيدِيَٰرِهِمۡجَٰثِمِينَ ٩٤ كَأَن لَّمۡيَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗأَلَابُعۡدٗالِّمَدۡيَنَكَمَابَعِدَتۡثَمُودُ ٩٥﴾.[1]

- تحليل التشبيه:

- المشبه 01: قوم شعيب بعد الهلاك.

- المشبه به 01: ما لم يقم يوما بدار ويتصرف فيها.

- أداة التشبيه 01: كأنّ.

[1] سورة هود، الآية 94-95.

- وجه الشبه: الضياع وعدم الانتفاع بشيء من هذه الحياة.

- غرض التشبيه: بيان حال المشبه.

- المشبه 02: البعد لمدين.

- المشبه به 02: البعد لثمود.

- أداة التشبيه 02: الكاف.

- وجه الشبه: سبب الهلاك ونوع العذاب.

- غرض التشبيه: بيان تقبيحه حال المشبه.

- نوع التشبيه: تشبيهان مرسلان مجملان مختلفان، الأول في قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ﴾ ، والثاني في قوله تعالى: ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾

- تفسير الآية:

تقدّم القول في معنى ﴿جَآءَ أَمْرُنَا﴾ إلى قوله ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ﴾ في قصة ثمود.

وتقدّم الكلام على ﴿ بُعْدًا﴾ في قصة نوح في قوله ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾.[1]

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ أي عذابنا.

﴿نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ وهو الإيمان الذي وفقناهم له، أو رحمة كائنة منّا لهم وقد جيء قبلها " بالفاء" في قصتي ثمود ولوط.

[1] سورة هود، الآية 44.

﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: عدل على الضمير تسجيلا عليهم بالظلم وإشعارًا بالعلية أي وأخذت أولئك الظالمين بسبب ظلمهم الذي فصل و« الصَّيْحَةُ» قيل: صاح بهم جبريل عليه السلام فهلكوا وكانت صيحة على الحقيقة، وأن يكون المراد بها نوعا من العذاب.

« فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ » أي ميتين من جثم الطائر إذا ألصق بطنه بالأرض.

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ﴾ أي لم يقيموا ﴿فِيهَآ﴾ متصرفين في أطرافها متقلبين في أكنافها، والجملة إمّا خبر بعد خبر، أو حال بعد حال.

﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾ العدول عن الإضمار إلى الإظهار للمبالغة في تفظيع حالهم وليكون أنسب شبه هلاكهم بهلاكهم، وإنّما شبه هلاكهم بهلاكهم لأنّ عذاب الكلّ كان بالصيحة.[1]

وأمّا قوله﴿كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾ فهو تشبيه البعد الذي هو انقراض مدين بانقراض ثمود، ووجه الشبه التماثل في سبب عقابهم بالاستئصال، وهو عذاب الصيحة، ويجوز أن يكون المقصود من التشبيه الاستطراد ذمّ ثمود لأنّهم كانوا أشدّ جرأة في مناواة رسل الله، فلما تهيأ المقام لاختتام الكلام في قصص الأمم البائدة ناسب أن يعاد ذكر أشدها كفرا وعنادا فشبه هلاك مدين بهلكهم (والاستطراد هو فن من البديع).[2]

[1] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، ط1، ج6، 1415 هـ، بيروت، ص321.

[2] التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج10 إلى 12، ص154.

• الآيـة الثامنـة: قـال الله سـبحانه وتعـالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَۖ مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ ١٠٠﴾.[1]

• تحليل التشبيه:

- المشبه: القرى السابقة التي قصّ الله أخبارها.

- المشبه به: الزرع المحصود (أي القائم من الزرع الذي بقيت أثاره).

- أداة التشبيه: محذوفة.

- وجه الشبه: الخراب والدّمار.

- غرض التشبيه: تقبيح حال المشبه.

- نوع التشبيه: تشبيه بليغ في قوله سبحانه وتعالى:﴿مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ ١٠٠﴾.

• تفسير الآية:

﴿ذَٰلِكَ ﴾ مبتـدأ ﴿ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَۖ ﴾خبـر بعـد خبـر، أي ذلـك النبـأ بعض أنباء القرى المهلكة مقصوص عليك منها الضمير للقرى، أي بعضها باق وبعضها عافى الأثر، كالزرع القائم على ساقه والذي حصد، فإنّ قلت ما محل هذه الجملة؟ قلت هي مستأنفة لا محل لها.[2]

"والأنباء": جمع نبأ، وهو الخبر.

[1] سورة هود، الآية 100.

[2] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، ج2، ص426-427.

وجملة " نَقُصُّهُ عَلَيْكَ": حال من اسم الإشارة، وعبّر بالمضارع مع أنّ القصص مضى لاستحضار حالة هذا القصص البليغ.

وجملة " مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ" معترضة، حال من (القرى).

و" قَائِمٌ" صفة لموصوف محذوف دلّ عليه عطف (وَحَصِيدٌ) والمعنى: زرع قائم وزرع حصيد وهذا هو التشبيه البليغ، فالقائم هو الزرع المستقل على سوقه.

والحصيد: هو الزرع المحصود. و(فعيل بمعنى مفعول).

وكلاهما مشبه به للباقي من القرى والعافي، والمراد بالقائم (القرى التي قصّها الله في القرآن أي قرى قائما بعضها مثل قرى بائدة مثل ديار عاد، وقرى قوم لوط والأهرام في بلد فرعون.[1]

الآيـة التاسـعة: قال الله سبحانه وتعالى:﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ١٠٢﴾ [2]

تحليل التشبه:

المشبه: أخذ الله الظالمين في مكّة، أو لأي قرية ظالمة.

المشبه به: أخذ الله للأمم الظالمة التي سبقت.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الكيفية والعاقبة.

[1] التحرير والتنوير، ج12، ص158.

[2] سورة هود، الآية 102.

نوع التشبه: تشبيه مرسل مفصل (ذكر الأداة ووجه الشبه) في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ﴾

غرض التشبيه: هو تقرير حال المشبه.

تفسير الآية:

الإشارة إلى المذكور من استئصال تلك القرى، وهو ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿أَخۡذُ رَبِّكَ﴾ . والتقدير: وكذلك الأخذ الذي أخذنا به تلك القرى أخذ ربّك إذا أخَذَ القرى.

والتشبيه في الكيفية والعاقبة.

والمقصود من هذا التذليل تعريض بتهديد مشركي العرب من أهل مكّة وغيرها.

والظلم: الشرك، وجملة ﴿إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ١٠٢﴾ في موضع البيان لمضمون ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ﴾ وفيه إشارة إلى وجه الشبه[1].

و محل الكاف الرفع، **تقديره:** ومثل ذلك الأخذ ﴿أَخۡذُ رَبِّكَ﴾ **والنصب فمن قرأ:** ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ﴾ بلفظ الفعل، وقرئ: إذا أخذ القرى وظالمةٌ حال من القرى أليم شديد وجيع صعب على المأخوذ. وهذا تحذير من وخامة عاقبة الظلم لكل أهل قرية ظالِمة من كفار مكّة وغيرها، بل لكلّ من ظلم غيره أو نفسه بذنب يقترفه، فعلى كلّ من أذنب أن يحذر أخذ ربّه الأليم الشديد، فيبادرُ التوبة ولا يغتر بالإمهال[2].

[1] التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، ج12، ص160.

[2] الكشاف عن دقائق غوامض التنزيل للزمخشري، ج2، ص427.

الآيــة العاشـرة: قـال الله سـبحانه وتعـالى:﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾﴾[1].

تحليل التشبيه:

المشبه: عبادة مشركي مكّة.

المشبه به: عبادة آبائهم الشركية وعقابهم كعقاب اباهم.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الإصرار على الشرك تقليدًا.

غرض التشبيه: بيان حال المشبه.

نوع التشبه: تشبيه تمثيلي (تمثيل بطريقة المشركين في العبادة بطريقة أباؤهم الضَالة في قوله سبحانه وتعالى :﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم﴾

تفسير الآية :

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ ۚ﴾ أي: فلا تشك بعدما أنزل عليك من هذه القصص في سوء عاقبة عبادتهم وتعرّضهم بها لما أصاب أمثالهم قبلهم تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وعدّة بالانتقام منهم ووعيدًا لهم، ثمّ قال﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم﴾ يريك أنّ حالهم في الشرك مثل حال آبائهم من غير تفاوت بين الحالين، وقد بَلَغَكَ مَا نَزَّلَ بأباءهم فسينزلنّ بهم مثله، وهُو استئناف معناه تقليل النهي عن المرية، و"مَا" في مما، وكما يجوز أن تكون مصدرية وموصولة، أي: من عبادتهم وكعبادتهم. أو ممّا يعبدون من الأوثان،

[1] سورة هود الآية 109.

ومثل ما يعبدون منها ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾أي حظهم من العذاب كما وفينا آبَاؤهم أنصباءهم[1].

و الخطاب في نحو ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾ يقصد به أي سامع لا سامع معين سواء كان ممن يظن به أن يشك في ذلك أم لا إذ ليس المقصود معيّنا.

و يجوز أن يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلّم ويكون ﴿ فَلَا تَكُ﴾ مقصودًا به مجرد تحقيق الخبر فإنّه جرى مجرى المثل في ذلك في كلام العرب مثل كلمة لاشك، ولا محالة، ولا أعرفنك، ونحوها، ويجوز أن يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على ما يلقاه من قومه من التصلب في الشرك، أي لا تكن شأنّي في أنّك لقيت من قومك من التكذيب مثل ما لقيته الرسّلِ من أممهم فإنّ هؤلاء ما يعبدون إلا عبادة كعبادة آباؤهم من قبل، و"في" للظرفية المجازية، والمِرية – بكسر الميم– : الشك.

وَ مَا في قوله "مَا يَعْبُد" مصدرية، أي لا تك في شك من عبادة هؤلاء، والإشارة بهؤلاء إلى مشركي قريش.

و جملة ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ﴾ مستأنفة، تعليلا لإنتفاء الشك في عاقبة أمرهم في الدنيا، والاستثناء بقوله ﴿إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ﴾إستثناء من هموم المصادر، وكاف التشبيه نائبة عن مصدر محذوف، التقدير إلاّ عبادة كما يعبد آباؤهم.

و الآباء: أطلقوا على الأسلاف وهم عاد وثمود، وعبّر عن عبادة الآباء بالمضارع للدلالة على إستمرارهم على تلك العبادة، كما اعتاد آباؤهم عبادتهم والقرينة على المضي قوله ﴿ مِّن قَبْلُ﴾ فكأنه قيل: إلاّ كما كان يعبد آباؤهم والمضاف إليه ﴿ قَبْلُ ﴾ محذوف تقديرهُ: من قبلهم، تنصيصا على أنهم سلفهم في هذا الظلال وعلى أنهم إقتدوا بهم.

[1] الكشاف عن حقائق غوامض للتنزيل للزمخشري، ج2، ص431.

و جملة ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾عطف على جملة التعليل والمعطوف هو المعلول، وقد تسلط عليه معنى كاف التشبيه لذلك، فالمعنى: وإنّا لموفوهم نصيبهم من العذاب كما وفينا أسلافهم، والتوفيه يعني إكمال الشيء غير منقوص والنصيب: أصله الحظ، فوقع قوله "غَيْرَ مَنْقُوصٍ" حالا مؤكدة، لتحقيق التوفيه زيادة في التهكم، لأنّ من إكرام الموعود بالعطاء أن يؤكد له الوعد ويسمّى ذلك بالبشارة، والمراد نصيبهم من عذاب الآخرة[1].

الآية الحادية عشرة: قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾

تحليل التشبيه:

المشبه: الاستقامة في المستقبل.

المشبه به: الاستقامة المأمور بها.

أداة التشبيه: الكاف.

وجه الشبه: الكمال والاستمرارية.

غرض التشبيه: بيان إمكان المشبه.

نوع التشبيه: تشبه مرسل مجمل (لم يذكر وجه الشبه وذكرنا الأداة)

و ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾

[1] التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، ج12، ص167، 169.

تفسير الآية:

﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي أمرت بها على جادّة الحّق، غير عادل عنها ومَنْ تَابَ مَعَكَ معطوف على المستتر في استقم. وإنَّمَا جاز العَطف عليه ولم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه. و**المعنى:**

فاستقم أنتَ وليستقم من تاب على الكفر وآمن معك ولا تطغوا ولا تخرجوا عن حدود الله إنَّه بمَا تعملون بصير عالم فهو مجازيكم به، فاتّقوه، وعن ابن عباس ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع القرآن آية كانت أشدّ ولا أشّد عليه من هذه الآية، ولهذا قال: شيّبتني هود والواقعة وأخواتهما" **و**روى أنّ أصحابه قالوا له: لقد أسرع فيك الشيب، فقال: شيبّتني هود. وعن بعضهم: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم. فقلت له: روي عنك أنّك قلت: شيبّتني هود. فقال: نعم، فقلت: ما الذي شيّبك منها؟ أقصص الأنبياء وهلاك الأمم؟ قال: لا، ولكن قوله ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾[1].

و في قوله تعالى:﴿فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّمَّا يَعۡبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ﴾للحضّ على الدوام على التمسك بالإسلام على وجه قويم عبّر عن ذلك بالاستقامة لإفادة الدوام على العمل بتعاليم الإسلام، دوامًا جماعة الاستقامة عليه والحذر من تغييره، فلّما كان الاختلاف في كتاب موسى عليه السلام إنّما جاء من أهل الكتاب عطف على أمر النبيّ صلى الله عليه وسلم بالاستقامة على كتابه أمر المؤمنين بتلك الاستقامة أيضا.

ووجه الأمر إلى النبي صلى الله عليه وسلم تنويها ليبني عليه قوله ﴿ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾ فيشير إلى أنّه المتلقي للأوامر الشرعية ابتداء. وهذا تنويه له بمقام رسالية، ثم أعلم بخطاب أمته بذلك بقوله ﴿ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾، وكاف التشبيه في قوله ﴿ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾ في موضع

[1] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ج2، ص432،433.

الحال من الاستقامة المأخوذة من ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ﴾ ومعنى تشبيه الاستقامة المأمور بها بما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم لكون الاستقامة مماثلة لسائر ما أمر به، وهو تشبيه المجمل بالمفصل في تفصيله بأن يكون طبقه ويؤول هذا المعنى إلى أن تكون الكاف في معنى "على" كما يُقال: كن كما أنت أي لا تتغير ولتشبه أحوالك المستقبلة حالتك هذه.

﴿ وَمَن تَابَ﴾، عطف على الضمير المتصل في ﴿ أُمِرۡتَ﴾ و ﴿ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾، هم المؤمنون لأنّ الإيمان توبة من الشرك، و ﴿ مَعَكَ﴾ حال من ﴿ تَابَ﴾وليس متعلقًا ب "تَابَ" لأنّ النبي صلى الله عليه وسلّم لم يكن من المشركين.

و الخطاب في قوله "ولا تطغوا" موجّه إلى المؤمنين الذين صدق عليهم " *وَمَنْ تَابَ مَعَكَ* "، والطغيان أصله التعاظم والجراءة وقلة الاكتراث وقد شمل الطغيان أصول المفاسد، فكانت الآية جامعة لإقامة المصالح ودرء المفاسد، وجملة "إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِير" هي استئناف لتحذير من أخفى الطغيان بأنّ الله مطلع على كلّ عمل يعمله المسلمون، ولذلك اختير وصف " بَصِير" من بين بقية الأسماء الحسنى لدلالة مادته على العلم البيّن ودلالة صيغته على قوته[1].

لمسات بيانية للسورة المباركة:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ ٩ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ بَعۡدَ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ ١٠﴾[2]

[1] التحرير والتنوير، الطّاهر إبن عاشور، ج12، ص175،177.

[2] سورة هود –الآية 10.09–

1 في الإذاقة استعارة مكنية لأنّه في الأصل تناول الشيء بالفم لإدراك الطعام ثم استبصر للذات تشبيها لها بما يذاق ثم يزول بسرعة كما تزول الطعوم.

2 بين النعماء والضرّاء => طباق[1].

قال سبحانه وتعالى :﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴿٢٨﴾﴾[2]

في اسناد العمي إلى البينة "مجاز عقلي".

تنزيلا لها منزلة من يعقل وحقيقته أنّ الحجة والبينة جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عِمِيًا لأنّ الأعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره، فعميت عليكم البينة فلم تهدكم، كما لو عمي على القوم رائدهم الذي يسير بهم في المتاهات المظلمة والبوادي المتشعبة فبقوْا حائرين يتخبطون ويلتمسون النجاة من حيرتهم وجملة بعضهم من باب القلب أي أنهم هم الذين عملوا فيكون من باب أدخلت الخاتم في إصبعي وأدخلت القلنسوة في رأسي[3].

– **المساواة :** ونبدأ بالفن الذي يتناول الآية عموما وقد عرفوه بأن يكون اللفظ مساويا للمعنى لا يريد عليه ولا ينقص عنه وهو من أعظم أبواب البلاغة بل هو البلاغة عينها فجمال الأسلوب هو الملائمة بين اللفظ والمعنى والآية التي نحن بصددها غير مثال لهذه المساواة فإنه سبحانه وتعالى أراد اقتصاص من هذه القصة بأوجز لفظ وأبلغه فإن قيل لفظه " القَوم" زائدة تمنع الآية من أن توصف بالمساواة لأنها إذا طرحت استقل الكلام بدونها حيث يقال " وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" قلت: لا يستغنى الكلام عنها لما قاله في أول القصة سبحانه وتعالى﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ﴾[4] وقال بعد ذلك﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى

[1] إعراب القرآن وبيانه،مصطفى درويش، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص، سوريا، ط4، ج4، 1415هـ، ص339.

[2] سورة هود –الآية 28–

[3] إعراب القرآن وبيانه، مصطفى درويش، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص، سوريا، ط4، ج4، 1415هـ، ص321.

[4] سورة هود، الآية 38.

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٣٧﴾[1] جاءت لفظة القوم في آخر القصة، ووصفهم بالظلم ليرتدّ عجز الكلام على صدره.

– **رد العجز عن الصدر:** وهو الفن الثاني من فنون هذه الآية، وليعلم أن القوم الذين هلكوا بالطوفان هم الذين كانوا يسخرون من نوح فهم مستحقون للعقاب، فأخبر الله سبحانه وتعالى ان الهالكين هم الذين تقدم ذكرهم وما كانوا، يفصلوه مع نبيه من السخرية بالتي استحقوا بها الهلاك، وأنهم الذين وصفهم بالظلم ووعد نبيه بإغراقهم ونهاه عن مخاطبته فيهم ليرفع ذلك الاحتمال فيعلم أن الله سبحانه قد انجز نبيه ما وعده واهلك القوم الظالمين الذين قدم ذكرهم ووصفهم ووعد بإغراقهم.

– **الإشارة:** وهو الفن الثالث من الفنون هذه الآية فن الإشارة، وهو أن يكون اللفظ القليل والأعلى الكثير من المعاني حتى تكون دلالة اللفظ بمثابة الإشارة باليد أو الايماءة بالحاجب والعين فإنّها تشير بحركة واحدة سريعة إلى أشياء كثيرة تستوعب العبارات الطويلة ومن أمثلتها في الآية التي نحن بصددها قوله " وَغِيضَ الْمَاءُ " فإن غيض الماء يشير إلى انقطاع مادة الماء من نبع الأرض ومطر السماء ولولا ذلك لما غاض الماء.

– **حسن النسق:** والفن السادس من فنون هذه الآية العجيبة هو فن النسق وهو عبارة عن أن يأتي المتكلم بالكلمات من الابيات من الشعر المتتالية متلاحمات تلاحمًا سليمًا مستحسنا لا معيبا مستهجنا، والآية من أولها إلى آخرها من شواهد هذا الفن فقد ترادفت الجمل منسوقة بعضها على البعض بواو النسق على الترتيب التي تقتضيه البلاغة لأنّه سبحانه وتعالى بدأ بالأهم إذ كان المراد إطلاق أهل السفينة من سجنها ولا يحصل ذلك ولا يتأتى إلاّ بانحسار الماء عن الأرض فلذلك بدأ بالأرض فأمرها بالابتلاع وثنى بالسماء فأمرها بالاقاع لئلا يتأذى بذلك أهل السفينة، ثم أخبر بغيض الماء عندما ذهب ماء الأرض

[1] سورة هود، الآية 37.

وانقطع ماء السماء، ثم قال " وَقُضِيَ الأَمْر" أي هلك من جفّ القلم بهلاكه، ونجا من سبؤ العلم بنجاته وهذه الحقيقة المعجزة ولابد أن تكون معلومة لأهل السفينة ولا يتسنى عملهم بها إلاّ بعد خروجهم منها وخروجهم موقوف على ما تقدم فلذلك اقتضت البلاغة أن تأتي هذه الجملة رابعة الجمل وكذلك استقرار السفينة على الجودي أي باستقرارها على المكان الذي استقرت عليه استقرارا لا حركة معه لتبقى آثارها آية لمن يأتي بعد أهلها...ثم قال أخيرا " بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ " وهذا دعاء وجبه الاحتراس ممن يظن أن الفرق لسموه الأرض ربما أودى بمن لا يستحق العذاب فدعا على الهالكين ووصفهم بالظلم ليعلم أن الهلاك إنّما شمل من يستحق العذاب دون سواهم احتراسا من هذا الاحتمال.

– **المناسبة اللفظية:** بين ابلعي واقلعي وهي تشبه المناسبة التي مرت في قوله سبحانه وتعالى﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [1] بسورة يونس.

– **الجناس الناقص:** بين ابلعي واقلعي ويسميه بعضهم المضارعة ويكون أنواعاً منها أن يختلف حرف في الكلمتين، بعد أن تتفق بقية الأحرف.

– **الطباق:**طباق بين "السماء" و"الأرض".

– **الاستعارة:** وهي الاستعارة المكنية الكائنة في نداء الأرض والسماء بما ينادى له الحيوان المميز على لفظ التحضيض والإقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات وهو قوله سبحانه وتعالى " يَا أَرضُ" و"يَا سَمَاءُ" ثم أمرهما بما يُؤمر به أهل التمييز والعقل، ومن قوله تعالى " ابْلَعِي مَاءَكِ"و"أَقْلِعِي" من الدلالة على الاقتدار العظيم، والبلع عبارة عن تغدير الماء وشربه في بطنها مستعار لهذا المعنى من بلع الحيوان، أي ازدراده لطعامه وشرابه والبلع في أثر القوة الجاذبية في المطعوم لكمال شبه بينهما وهو الذهاب إلى مقر

[1] سورة يونس –الآية 04–

خفي ومع هذا فهي قرينة للاستعارة المكنية التي في الماء أي استعارة الماء للغذاء لجامع تقوي الأرض بالماء في الإنبات تقوي الأكل بالطعام.

– **المجاز المرسل:** وذلك في قوله "يَا سَمَاء" فإن الحقيقة: ويا مطر السماء اقلعي والعلاقة في هذا المجاز السببية لأن الماء سبب المطر أو المحلية، لأنّها محلها بما يتجمع فيها من سحب وإضافة الماء إلى الأرض مجاز أيضا تشبيها لاتصاله بها.

– **التمثيل:** وهو أن يريد المتكلم معنى فلا يعبر عنه بلفظة الخاص ولا بلفظي الإشارة والارداف بل بلفظ هو أبعد من لفظ الأرداف قليلا يصلح أن يكون مثلا للفظ الخاص لأن المثل لا يشبه المثل من جميع الوجوه، ولو تماثل المثلان من كلّ الوجوه لا تحداً، وقد تقدم تفصيل هذا الفن في قوله " وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ".

– **الإيجاز:** فقد اقتص سبحانه وتعالى القصة بلفظها مستوعبة بحيث لم يخل منها بشيء في أقصر عبارة وبألفاظ غير مطولة.

– **التسهيم:** وهو أن يكون ما تقدم من الكلام دليلا على ما يتأخر منه أو بالعكس والتسهيم في الآية هو أن اول الآية يقتضي آخرها.

– **الانسجام:** وهو تحديد الكلمات بسهولة، وعذوبة مع الجزالة التي يقتضيها المقام ويتطلبها مقتضى الحال.

– **الإرصاد:** وهو أن يجسد القارئ بالفاصلة قبل أن يلتفظ بها.

– **إتلاف اللفظ مع المعنى:** وهو ما يسميه أهل الفن بالمزاوجة بين الألفاظ[1] .

[1] إعراب القرآن وبيانه، مصطفى درويش، ج4، ص340.

– في قوله سبحانه وتعالى في ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ﴾[1] نجد أنّ الاستعارة التمثيلية، فقد جعل عدم الوصول استعارة لامتناعهم عن الأكل والمعنى لا يمّدون أيديهم إلى أكله فهو لا يريد أن ينفي الوصول الناشئ عن المّد.

– وفي قوله تعالى﴿أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ٨١﴾[2]: إرسال المثل أو التمثيل وهو فن يمكن تعريفه بأن يكون ما يخرجه المتكلم ساريا مسير الأمثال السائرة، وقد تقدمت الإشارة إليه وسرد المزيد منه وقد عنى علمائنا الأقدمون باستقصاء جميع أمثال الكتاب العزيز من السور على ترتيبها.

– **التكرار**: [في الآيات 84 إلى 95] فقد وقع التكرار في هذه القصة ثلاثة أوجه لأنه قال ولا تنقصوا المكيال والميزان وهذا عين الأول وليس فيه إلا التعبير تبخسوا الناس أشيائهم والفائدة فيه أنّ القول لما كانوا مصرين على ذلك العمر القبيح احتيج في المنع منه إلى المبالغة في التأكيد والتكرير يفيد شدة الاهتمام بالشيء وقد نهوا أولا عن القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان ثم ورد الأمر بالإيفاء مصرحا بلفظه ليكون اهيج عليه وأدعى إلى الترغيب فيه.

– و**الإيجاز**: في قوله سبحانه وتعالى ﴿فَٱسۡتَقِمۡ﴾[3] ذلك لأن الاستقامة هي من الاستمرار في جهة واحدة وأن لا يعدل يمينا أو شمالا ومعروف أنّ الخط المستقيم هو أقصر بعد بين نقطتين فأقل انحراف ويخرجه عن استقامته، وإذن فقد انتظم في كلمة الاستقامة جميع مكارم الأخلاق ومحاسن الأحكام الأصلية والفرعية والكمالات التي ينشدها العارفون والمقربون.

[1] سورة هود، الآية 70.

[2] سورة هود ،الآية 81.

[3] سورة هود، الآية 112.

– **البسط:** فلم يقل الظالمين وعدل عن ذلك إلى قوله "الذِينَ ظَلَمُوا" لما يحتمل الأول من استمرار الظلم الذي لا يلائم المساس ولا تحصل به المبالغة التي تحصل من لفظ الثاني من وقوع الظلم على سبيل الندور ليلائم المعنى معنى الركون ومعنى المساس وتحصل المبالغة الدقة لأنه سبحانه إذا نهى عن الركون إلى من استمر منه الظلم بطريق أولى واذا نهى عن الركون إلى الظالم كان النهي عن فعل الظلم أحرى[1].

ونلاحظ في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾.[2]

والفاء في« فَهَلْ أنتم مسلمون» للتفريع عل «فاعلموا» والاستفهام مستعمل في الحث على الفعل وعدم تأخيره كقوله« فهل أنتم منتهون»، والمعنى: فهل تسلمون بعد تحققكم أن هذا القرآن من عند الله، وجيء بالجملة الاسمية الدّالة على دوام الفعل وثباته، ولم يقل فهل تسلمون لأن حالة عدم الاستجابة تكسب اليقين بصحة الإسلام فتقتضي تمكنه من النفوس وذلك التمكن تدل عليه الجملة الاسمية.

– وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [3]

الهمزة للاستفهام التقريري، أي إن كفر به هؤلاء أفيؤمن به من كان على بينة من ربّه. و«من كانَ على بينة » لا يراد بها شخص معين، فكلمة «من» هنا تكون كالمعرف بلام العهد الذهني صادقة على من تحققت له الصلة، أعني أنّه على بينة من ربّه. وبدون ذلك لا تستقيم الإشارة.

[1] إعراب القرآن وبيانه، مصطفى درويش، ج4، ص400،444.

[2]– سورة هود– الآية 14–

[3]– سورة هود– الآية 17–

– قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨﴾ [1]

و (أَرَءَيۡتُمۡ)، استفهام عن الرؤية بمعنى الاعتقاد، وهو استفهام تقريري إن كان فعل الرؤية غير عامل في مفرد فهو تقرير على مضمون الجملة السادّة مسدّ مفعولي (أَرَءَيۡتُمۡ).

وجملة «أنلزمكموها» سادّة مسدّ مفعولي « أَرَءَيۡتُمۡ» لأن الفعل علوَ عن العمل بدخول همزة الاستفهام. وجواب الشرط محذوف دل عليه فعل « أَرَءَيۡتُمۡ» ومَا سدّ مسد مفعوليه وهنا "الاستفهام إنكاري"، أي مَا كَان لَنَا ذلك لأنّ الله لم يأمرهُ بإكراههم إعراضًا عن العناية بهم فترك أمرهم إلى الله، وذلك أشدّ في توقع العقاب العظيم.

– قال الله سبحانه وتعالى:«﴿أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ٧٨﴾ [2] والاستفهام في هذه الآية إنكار وتوبيخ، لأنّ إهانة الضيف مسبّة لا يفعلها إلاّ أهل السفاهة، وقوله « مِنكُمۡ» بمعنى بعضكم أنكر عليهم تمالؤهم على الباطل وانعدام رجل رشيد من بينهم، وهذا إغراء لهم على التعقل ليظهر فيهم من يتفطن إلى فساد ماهم فيه فينهاهم.

– قال الله سبحانه وتعالى:﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِۖ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ٩٢﴾ [3]

[1]– سورة هود– الآية 28–

[2]– سورة هود– الآية 78–

[3]– سورة هود– الآية 92–

هنا إعادة النداء للتنبيه لكلامه وأنّه متبصر فيه والاستفهام إنكاري، أي الله أعز من رهطي، وهنا "كناية" عن اِعتزازه بالله تعالى لا برهطه فلا يريبه عدم عزة رهطهم عليهم، وهذا تهديد لهم بأنّ الله ناصره لأنّه أرسله فعزته بعزة مرسله.

والمراد بالظهري في الآية: كناية عن النسيان أو الاستعارة لأن الشيء الموضوع بالوراء ينسى لقلّة مشاهدته، فهو يشبه الشيء المجهول خلف الظهر في ذلك، فوقع «ظهريا» حالاً مؤكدة للضرف في قوله «وراءكم» إغراقا في معنى النسيان لأنّهم اِشتغلوا بالأصنام عن معرفة الله أو عن ملاحظة صفاته.

– قال الله سبحانه وتعالى: «﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾﴾[1] هذه جملة استئناف بياني صدر من الملائكة جوابًا عن سؤال يحبس في نفسه من اِستنباط نزول العذاب، والاستفهام تقريري، ولذلك يقع في مثله التقرير على النفي إرخاء للعنان مع المخاطب المقرر ليعرف خطأه، وإنّما قالو ذلك في أول الّيل.

ونجد القصر في قوله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾﴾[2]، قصَر قلب بناء على ظاهر طلبهم جملا لكلامهم على ظاهرة، على طريقة مجارة الخصم في المناظرة، وإلاّ فإنهم جازمون بتعذر أن يأتيهم بما وعدهم لأنهم يحسبونه كاذبا وهم جازمون بأنّ الله لم يتوعدهم، ولعلهم كانوا لا يؤمنون بوجود الله تعالى

قال سبحانه وتعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾﴾[3]

[1]– سورة هود– الآية 81–

[2]– سورة هود– الآية 33–

[3]– سورة هود– الآية 98.

في قوله تعالى: ﴿فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ ٩٨﴾ اِستعارة الإيراد إلى التقدم بالناس إلى العذاب، وهي تهكمية لأنّ الإيراد يكون لأجل الانتفاع بالسقي وأمّا التقدم بقومه إلى النار فهو ضدّ ذلك، وجملة ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ ٩٨﴾«وبئْسَ الورد المورود» في موضع الحال والضمير المخصوص بالمدح المحذوف هو الرابط وهو تجريد للاستعارة.

– قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ١٠٥﴾[1] هنا طباق.

والشقي: إذا تلبس بالشقاء والشقاوة، أي سوء الحالة وشرها.

والسعيد: ضدّ الشقي وهو المتلبس بالسعادة والأقوال الحسنة.

– قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ٣﴾[2]

وصف اليوم بالكبير لزيادة تهويله، والمراد بالكبر المعنوي، وهو شدّة ما يقع فيه، أعني العذاب، فوصف اليوم بالكبر، وهو "مجاز عقلي".

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ﴾[3].

ونلاحظ هنا التنبيه. افتتاح الكلام بحرف التنبيه «ألا» للاهتمام بمضمونه لغرابة أمرهم المحكي وللعناية بتعليم إيحاء علم الله سبحانه وتعالى.

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٤﴾[4]

[1]– سورة هود الآية 105–

[2]– سورة هود– الآية 03–

[3]– سورة هود– الآية 05–

[4]– سورة هود– الآية 04–

فالمرجع: مصدر ميمي بمعنى الرجوع، وهو مستعمل كناية عن لازمه العرفي وهو عدم الانفلات وإن طال الزمن، وذلك شامل للرجوع بعد الموت.

– قال الله سبحانه وتعالى: «﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ۝٩﴾»[1]

والإذاقَةُ مستعملة في إيصال الإدراك على "وجه المجاز"، وإختيرت مادّة الإذاقة لما تشعر به من إدراك أمر محبوب لأنّ المرء لاَ يذوق مَا يَشتهيه.

وَ قالَ الله سبحانه وتعالى: «﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝١٠﴾»[2]

هذه جملة تتميم لما قبلها لأنهَا حالة ضدّ الحالة التي قبلها.

و "المس" مستعمل في مطلق الإصابة على "وجه المجاز"

– قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ۝٧٧﴾[3]

ومعنى « وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا» ضاق ذرعهم بسببهم أي بسبب مجيئهم، فحوّل الإسناد إلى المضاف إليه، وجعل المسند إليه تمييزا لأنّ إسناد الضيق إلى صاحب الذرع أنسب بالمعنى المجازي، وَهو أشبه بتجريد الاستعارة التمثيلية.

[1]– سورة هود– الآية 09–

[2]– سورة هود– الآية 10–

[3]– سورة هود– الآية 77.

وقال الله سبحانه وتعالى: «﴿وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ٨٤﴾»[1].

«عذاب يوم محيط»، وهذا تحذير من عواقب كفران النعمة وعصيان واهبها.

و «محيط» وصف ل «يوم» على وجه المجاز العقلي أي محيط عذابه، والقرينة هي إضافة العذاب إليه[2]

قال الله تعالى:﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٦٧﴾[3]

لو لاحظنا قال في صالح «ومن خزي يومئذ» لم يقل في قوم شعيب «ومن خزي يومئذٍ» والخزي مذكّر فإذن هذا أنسب للتذكير «أخذ» ستكون الصيحة هنا بمعنى الخزي مع سيدنا صالح.

هذا أمر وعندنا من الملاحظ أن التذكير في العقوبات أقوى من التأنيث، هنا المفروض أنّه أخذ الذين ظلموا الصيحة أشدّ من وأخذت الذين ظلموا الصيحة.

قال أولا:﴿وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٖۚ﴾ [4] ولم يقلها في قوم شعيب، وقال﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ٦٦﴾ [5] . القوة والعزة مع قوم صالح ولم يقلها في شعيب إذن نلاحظ أنّه ذكر الخزي والخزي مذكر، وذكر ربنا تعالى وصف القوة ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ٦٦﴾ثم ذكر أمر

[1]- سورة هود- الآية 84.

[2]- التحرير والتنوير- الطّاهر ابن عاشور ج11 ص 12، 163، وج 12 ص 320.

[3]- سورة هود الآية-67-

[4]- سورة هود- الآية - 66-

[5]- سورة هود- الآية- 66.

آخر سيء في قوم صالح وهو ﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّثَمُودَ ٦٨﴾[1]، أمّا في شعيب ما قال كفروا ربهم قال«﴿أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ﴾ [2]

إذن هناك صفات في قوم صالح أشدّ فإذن تذكير الفعل مع قوم صالح أشد وهو أنسب مع قوله «ومن خزي يومئذٍ» من حيث اللغة يجوز تذكير وتأنيث الفعل أولا لأن الصيحة مؤنث مجازي والمؤنث المجازي يجوز تذكيره وتأنيثه، وهذه هي التي تفصل بين الفعل والفاعل حتى لو كان مؤنثا حقيقيا يجوز تذكيره.[3]

[1]– سورة هود– الآية 68

[2]– سورة هود– الآية 95.

[3]– مقال، محبّي. أ. د فاضل صالح السامرائي. في 07 ماي 2019.

خلاصة الفصل الثاني:

لقد تطرقت في الفصل الثاني إلى سورة كريمة من سور القرآن وهي سورة هود عليه السلام وهي سورة مكية وابتدأت بالإيمان إلى التحدي لمعارضة القرآن وجاءت للنهي عن عبادة غير الله وبأن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء نذير للمشركين بعذاب يوم عظيم، وجاء بشير للمؤمنين بمتاع حسن، وبينت السورة أنّ مرجع الناس لله تعالى وأنّه ما خلقهم إلّا للجزاء، والتذكير بما حلّ بالأمم السابقة من قوم نوح، وعاد وثمود وإبراهيم وقوم لوط ومدين ورسالة موسى.

و في قصة سيدنا هود عليه السلام نجد معارضة قومه وإنكاره عليه، واعتقادهم أن آلهتهم أنزلوا به الجنون والاضطراب، فيتبرأ هود من آلهتهم ويتحدّاهم، وتذكر الآيات خاتمة أمر هود مع قومه على حسب سنة الله في نصرة أوليائه وخزي أعدائه.

ثم هدفت إلى ذكر الدراسات البلاغية في حقل الدراسة القرآنية وخاصة التشبيه، فقد تناولت في هذا الفصل ذكر التشبيهات القرآنية في سورة هود وتحليلها ثم تفسير الآيات مع ابراز وعرض نوع كل تشبيه وغرضه من تقبيح أو تزيين أو بيان لحاله...، حتى توصلت الحديث في النهاية عن اللمسات البيانية للسورة المباركة وذكرت ما تحمله الآيات من حسن النسق ومساواة وما حملته من محسنات بديعية وصور بيانية فقد أسرّت إلى الاستعارة والطباق والمجاز...، وفي نهاية الفصل توصلت إلى مجموعة من النتائج لعلّ أهمها أن سورة هود تعد معجماً للمصطلحات البلاغية.

خاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين أمّا بعد:

لقد هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن خصوصيات التشبيه وذلك باتخاذ "سورة هود" أنموذجاً، فقد تناولنا فيها جوانب مختلفة (نظرية وتطبيقية)، لنصل في الأخير إلى مجموعة من النتائج والتي تتمثل في ما يلي:

1- المعنى اللغوي للتشبيه وهو المماثلة أي: أشبه الشيء بالشيء بمعنى أماثله.

2- المعنى الاصطلاحي للتشبيه هو صورة تقوم على تمثيل حسّي أو مجرد لاستدراكهما في صفة حسية أو مجرّدة أو أكثر.

3- أركان التشبيه أربعة وهي: المشبه، المشبه به، أداة التشبيه، ووجه الشبه.

4- ويتفرع التشبيه إلى عدة أنواع باعتبار الأداة ووجه الشبه وهي:

-التشبيه المرسل: وهو ما ذكرت فيه الأداة.

-التشبيه المؤكد: وهو ما حذفت فيه الأداة.

-التشبيه المفصل: هو ما ذكر وجه الشبه فيه.

-التشبيه المجمل: هو ما حذف وجه الشبه منه.

التشبيه البليغ: وهو ما حذفت منه الأداة ووجه الشبه.

5- تعددت أقسام التشبيه عند البلاغيين، فعند أبي هلال العسكري نجده ينقسم إلى ثلاثة وجوه: (تشبيه شيئين متفقين يعرف اتفاقهما بدليل وتشبيه شيئين متفقين من جهة اللون، وتشبيه شيئين مختلفين).

ونجد عند غيره تشبيه (معنى بمعنى، وصورة بصورة) وتشبيه معنى بصورة أو صورة بمعنى.

و هناك أقسام أخرى (وهي التشبيه المفرط والمصيب والمقارب والبعيد).

6- وهناك أنواع أخرى من التشبيهات وهي:

-التشبيه الضمني: يعرف التشبيه فيه من قرينة الكلام ومضمونه.

-التشبيه التمثيلي: وهو الذي يكون فيه وجه الشبه صورة منتزعة من مركب.

-والتشبيه المقلوب هو التشبيه المعكوس.

أمّا التشبيه الغير التمثيلي فهو ما كان وجه الشبه فيه أمرا بينا بنفسه.

ثم تشبيه التخييل وهو ما يكون المشبه به أمرا قد صنعه الخيال المحض.

7- أما الفرق بين التشبيه والتمثيل فقد اختلف البلاغيون في النظر إلى العلاقة بينهما

8- ومن أهم أغراض التشبيه: (بيان إمكان وجود المشبه، بيان حال المشبه ومقداره، ثم تقرير حال المشبه، وفي الأخير تزيينه أو تقبيحه)

9- سورة هود مكية ورد فيها إحدى عشرة تشبيهاً.

10- إبراز أهم اللمسات البيانية للسورة المباركة (من طباق وسجع واستعارة...).

و الحمد لله أولا وآخراً حمداً يليق بجلال وجهه الكريم والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ونستغفره على كل نقص أو تقصير فما كان فيه من صواب فمن الله سبحانه وتعالى وله الحمد وما كان فيه خطأ فمن نفسي أو الشيطان.

فاللّهم إنا نسألك الهداية والصواب، قال سبحانه وتعالى : «﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ﴾ [سورة الأعراف: الآية 43]

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الأربعون النووية، لمحي الدين النووي، رواه البخاري.

أولا: الكتب

1. ابن جني، الخصائص، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، تح: محمد علي النجار، 1955م.
2. ابن رشيق القيرواني، العمدة ، مطبعة السعادة، القاهرة، ج1، 1907م.
3. ابن منظور (أبو الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم)، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، ج 8 دوس، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط1، 2007، 1427هـ.
4. أبي هلال العسكري (الحسن بن عبد الله بن سهل). كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، تح، علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1952 م .
5. أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2005م.
6. أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1999م.
7. التنوخي، الأقصى القريب، دون دار النشر، مصر.
8. الجرجاني، الاشارات والتنبيهات في علم البلاغة تح: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، 1997م.
9. جلال الدين القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط3.

10. الرماني، الخطابي، الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، دار المعارف مصر، ط3، 1976م.
11. الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، ط3، ج2، 1407هـ، بيروت.
12. الزمخشري، الكشاف، دار الكتاب العربي، بيروت، ج3، ط3، 1407هـ.
13. السكاسي، مفتاح العلوم تح: نعيم زرزور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1987م.
14. سيّد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الشرعية الخامسة والثلاثون، 1425هـ-2005م، المجلّد الرابع، الأجزاء 12-18.
15. ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر، دار نهضة مصر، للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة.
16. عبد الرحمن الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم، دمشق، ج1، ط1، 1414هـ.
17. عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ج1، 1985م.
18. عبد الفتّاح بسيوني علم البيان، القاهرة، مؤسّسة المختار للنشر والتوزيع، 2015، ط4.
19. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة المكتبة العصري وللطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1424 هـ-2003 م .
20. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: محمود شاكر، ط1، مطبعة المدني بالقاهرة ودار المدني بجدة، 1991م.

21. عبد الملك بومنجل، تأصيل البلاغة، بحوث نظرية وتطبيقية في أصول البلاغة العربية، مخبر المثاقفة العربية في الأدب ونقده، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف 2.

22. علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة دار المعارف، لبنان، 2011م.

23. قدامة المقدسي، كتاب عمدة الفقه تح: أحمد محمد عزوز، المكتبة العصرية، بيروت، 620هـ، ج1.

24. قدامة بن جعفر، نقد الشعر مطبعة الجوانب، قسطنطينية، ط1، 1302هـ.

25. القزويني، السكاكي، متن التلخيص في "مجموع المتون الكبرى"، مطبعة النيل، القاهرة.

26. المبرد أبو العباس محمد بن يزيد، الكامل، تعليق محمد أبو الفضل وابراهيم السيد شحاته، دار نهضة مصر للطبع والنشر، 2003، ج3.

27. محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي، مكتبة وهبة للنشر، القاهرة، ط2، 1418هـ-1997م.

28. محمد أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في دراسات البلاغية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1988م، 1441هـ.

29. محمد الطّاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، المجلّد 5،ج10، دار مصر للطباعة، 1997.

30. محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، ط1، ج6، 1415 هـ، بيروت.

31. مخيمر صالح، معجم الأساليب البلاغية في القرآن الكريم، دار الكتاب الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، 2004.

32. المراغي أحمد بن مصطفى، علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1993.

33. مصطفى درويش، إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص، سوريا، ط4، ج4، 1415هـ.

34. مصطفى ديب البغا –محي الدين مستو ، الواضح في علوم القرآن، مستوى دار الكلم الطيب، دار العلوم الإنسانية، دمشق، ط2، 1998 م.

35. يوسف أبو العدوس، التشبيه والاستعارة منظور ومستأنف ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط1، 2007، 1427هـ.

المجلات:

36. التشبيه الضمني، ميسر زكريا محمد، العدد 90 98، نشرت يوم 19 يونيو 2017، النسخة الالكترونية، بوابة كنانة اون لاين.

37. سورة هود ومسار النبوة والأنبياء، الشيخ سمير رحال، مجلّة اللقاء، هيئة علماء بيروت، العدد 31، بتاريخ 2017/12/25، www.allikaa.net.

38. عمرو خالد، خواطر قرآنية المعنى العام لسور القرآن الكريم من تفسير ظلال القرآن، بتصرف، مقال منشور، 06 أوت 2012.

39. – مقال، محبّي. أ. د فاضل صالح السامرائي. في 07 ماي 2019.

الفهرس

الفهرس:

مقدمة.....أ-هـ

مدخل: التشبيه في القرآن الكريم.....

1. تعريف القرآن الكريم 01
2. التشبيه في القرآن الكريم.....01

الفصل الأول: فنّ التشبيه

المبحث الأول: ماهية التشبيه.....07

- مفهوم التشبيه.....07
- أركان التشبيه.....10
- طرفا التشبيه.....12
- وجه الشبه.....15
- التشبيه باعتبار الأداة ووجه الشبه.....16

المبحث الثاني: من مجالات التشبيه.....18

- أقسام التشبيه 18
- أنواع التّشبيه 27
- التمثيل والتشبيه والفرق بينهما.....33
- التصوير والتشكيل 34

المبحث الثالث: من خصائص التشبيه.....36

- محاسن التشبيه 36
- أغراض التشبيه.....38

- عيوب التشبيه 39
- بلاغة التشبيه في القرآن الكريم..... 41

الفصل الثاني: دراسة تحليلية لسورة هود

المبحث الأول : بيانات عن السورة المباركة..... 43

- التعريف بالسورة..... 43
- سبب التسمية..... 45
- سبب النزول..... 46
- أغراضها 47
- خلاصة لكل نبي من الأنبياء..... 49
- المعنى الإجمالي لسورة هود 53

المبحث الثاني: التشبيهات في سورة هود وصفها وتفسيرها 62

- التشبيهات القرآنية في سورة هود وتحليلها..... 62
- لمسات بيانية للسورة المباركة 86

خلاصة الفصل الثاني..... 99

خاتمة.....101

قائمة المصادر والمراجع.....104

ملخص:

تناولت في هذه الدراسة موضوع خصوصيات التشبيه في القرآن الكريم وأخذت سورة هود أنموذجا مع محاولة إبراز ماهية التشبيه من حيث النوع و الأغراض والأقسام .

فتبين لنا وجود خمسة أقسام رئيسية وهي:

(التشبيه المرسل،والتشبيه المؤكد،والمفصل،والمجمل،والتشبيه البليغ)

إضافة إلى أنواع أخرى من التشبيه و التي تتمثل في (التشبيه الضمني، والتشبيه التمثيلي وغير التمثيلي، إضافة إلى التشبيه المقلوب، وأخيرا التخييل.)

وفي الأخير نستنتج أن أساليب التشبيه في القرآن الكريم خير شاهد لتبيين الحقائق العلمية والعملية محسوسة كانت أو معقولة .

الكلمات المفتاحية: التشبيه، أنواع التشبيه، خصوصيات التشبيه، القرآن الكريم، سورة هود .

Résumé

Dans cette étude, nous avons abordé les particularités de la comparaison dans le Coran en utilisant Surat Hood comme modèle, nous avons essayé de souligner l'importance de la comparaison en termes de type, d'objectifs et de classes. Nous avons donc constaté qu'il y a cinq classes principales, qui sont : la comparaison typique ; la comparaison emphatique, la comparaison détaillée, la comparaison globale; et la comparaison éloquente. En plus d'autres types de comparaison, qui sont : la comparaison implicite , la comparaison représentationnelle, et enfin, la comparaison inversée et la comparaison fictionniste.

À la fin, nous concluons que les méthodes de comparaison dans le Coran sont les meilleurs témoins pour démontrer les faits scientifiques et pratiques, qu'ils soient perceptibles ou raisonnables.

Mots clés : Comparaison, Types de comparaison, Particularités de comparaison, le Coran, Surat Hood.

Abstract

In this study we have addressed the peculiarities of simile in the Quran using Surat Hood as a model, we have tried to emphasize the importance of the comparison in terms of type, purpose and d simile, the global simile; and the eloquent simile. In addition to other types of simile, which are the implicit simile and the representational simile. And finally, the inverted simile and the fictionalist simile.

At the end, we conclude that the comparison methods in the Quran are the best witnesses to demonstrate scientific and practical facts, whether they are discernible or reasonable.

Keywords: Simile, types of simile , features of simile, Quran, Surat Hood. classes. So we found that there are five main classes, which are: the typical simile; the emphatic simile, the detail